

ويسألونك عن الة الاسلام
قل : هو المتكبر خير الماكرين الذى يخادع ويلهم الفجور ويضل من يشاء

اعداد

شاكراً فضل الله النعمانى

مقدمة

الشیطان أبو ریالة والخلاص بالعداد

المرجعية القائمة تحکم على المرجعية المستجدة.
الكتاب المقدس يحکم على القرآن وليس العکس.
هذه ألف باء المنطق. والا فان كتاب البهائيين " الكتاب الأقدس " يحکم على القرآن . وكتاب
المورمون يحکم على الكتاب الأقدس.
ثم يأتي أي زيت ومعيط ونطاط حيط ليقول أنه خاتم المرسلين وأشرف الأنبياء وكتابه "الفرقان
الجعيص" هو الرسالة الخاتمة وان كتاب المورمون قد تنبأ عنه ولكن المورمون حرفوا كتابهم.
هذا هو المنطق المخبول الذي يتعاطاه المشعوذون ..

ولكننا في هذا الكتاب سوف نتبع أصول المنطق الصحيح ونقيم اله الاسلام في ضوء المرجعية
السماوية القائمة وهي الكتاب المقدس.
الكتاب المقدس يتكلم عن أله واحد حقيقي ويصف جوهره بأنه نور ومحبة فهو يقول بحصر اللفظ ان
" الله نور " وأن "الله محبة" .
ولأنه قدوس فان أول ما خلق كان هو النور .
" وقال الله ليكن نور فكان نور " تكوين ١:٣
هذا الاله القدوس "عيناه اطهر من أن تنظرا الشر " حبقوق ١ : ١٣
و "السموات ليست ظاهرة بعينييه والى الملائكة ينسب حماقة " ايوب ١٥ : ١٥
هذا هو الاله الحقيقي الجدير بالعبادة .

ونحن حين نخطئ فانما نخطئ اليه ولهذا قال يوسف الصديق عندما كانت امرأة فوطيفار(العزير)
تراوده:
"كيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطئ الى الله " (تكوين ٣٩ : ٩) .
وكتب أيضا داود النبي :
"اليك وحدك أخطأت والشر قدام عينيك صنعت" (مزمور ٥١ : ٤) .

بل وفي مثل الابن الضال الذي اعطاه المسيح يقول الابن :
"أخطأت الى السماء وقدامك .." لوقا ١٥ : ٢١ .

وبسبب قداسة الله فان خطية واحدة لأدم وحواء أخرجتهما من الجنة الى الأرض.

وخطية واحدة من موسى حرمة من دخول أرض الميعاد .

قداسة الله استوجبت الانفصال عنه عندما نخطئ وجعلته يحجب وجهه عنا .
ولهذا كتب إشعياء النبي:

" .. أثمكم صارت فاصلة بينكم وبين إلهكم, وخطاياكم سترت وجهه عنكم.. " (أشعياء ٥٩ : ٢).

الخطية بشعة جدا الى هذا الحد .

وللأسف أننا ورثنا عن أبينا آدم الطبيعة الختاءة , وولدنا بها كما كتب داود النبي:

" ها أنذا بالإثم صورت وبالخطيئة حبلت بي أمي " (مزمور ٥١ : ٥) .

نحن نرى هذا بوضوح فى عناد الطفل وعصيانه وأنايته, ونراها فى أنفسنا نحن الكبار فى صورة
الكبرياء ومحبة الذات والغيرة والشهوة.

بل أن القرآن نفسه يقول أن النفس لأمارة بالسوء (يوسف ٥٣) .

و الخطية مشكلة كل إنسان بلا استثناء .

ولهذا يقول الكتاب المقدس أن "الجميع زاغوا وفسدوا معا " رومية ٣ : ١٢ .

و"ليس من يعمل صلاحا... ليس ولا واحد" مزمور ١٤ : ١ .

هذا هو حال كل انسان : خاطئ وغير قادر على فعل الصلاح من ذاته وعاجز عن أن يوفى مطالب
الله من ناحية القداسة.

ولهذا فإن الانسان متجنب عن الله ومنفصل بعيد عنه .

كاتب القرآن لا يعي هذا لأنه لا يدرك بشاعة الخطية .

ولهذا فإن كلمة "القدس" ومشتقاتها لا تأتى فى القرآن كله الا عشرة مرات لا غير .
مرتين فقط منها ترتبط بالله والثمان مرات الأخرى ترتبط بالملاك جبريل أو بالأرض أو
بالوادي طوى أو الملائكة على وجه العموم .
وها هى الآيات الدالة على ذلك :

البقرة ٨٧ .	" وأتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بالروح القدس "
البقرة ٢٥٣ .	" وأتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بالروح القدس "
المائدة ١١٠ .	" واذا أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهدي وكهلا "
النحل ١٠٢ .	"قل نزله روح القدس من ربك بالحق ..."
المائدة ٢١ .	"يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم "
طه ١٢ .	" انى أنا ربك فأخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى "
النازعات ١٦ .	" اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى "
البقرة ٣٠ .	" ونحن نسبح بحمك ونقدس لك "

" هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس " الحشر ٢٣ .
" يسبح الله ما فى السموات وما فى الأرض الملك القدوس " الجمعة ١ .

فى المقابل تأتى كلمة "القدس" ومشتاقتها فى الكتاب المقدس أكثر من ٤٦٠ مرة
منها أكثر من تسعين مرة فى سفر اللاويين (وهو من اسفار موسى الخمسة) الذى
يتحدث عن الذبائح باستفاضة كاملة .
وهذا دليل واضح على ارتباط الذبائح بقداسة الله .ربما يستدعى هذا التفات كل قارئ
مدقق ولهذا فاننا ندعوه للبحث فى هذا الأمر (ونشير عليه بقراءة كتاب "المسيح هو
الحل" من على شبكة الانترنت) .
نعود ونقول أن كاتب القرآن جاهل تماما بأمر قداسة الله ولهذا فهو يقدم لأتباعه الخدعة
الشیطانية " الحسنات يذهبن السيئات" . وكأن الخلاص بالعداد (كما تصوره الأساطير
الفرعونية فى دور الله أنوبيس حامل ميزان الأموات).
صاحب القرآن يقدم دينا هو توليفة من الفرائض والطقوس والشعائر والأعمال
والأصوام مع قائمة بالحلال والحرام . وعلى المؤمن أن يتمم الفرائض ويكثر من
الأعمال الصالحة ويتجنب الحرام اذا اراد أن يرضى الله عنه ويدخله فسيح جناته .
هذه هى عبقرية الشيطان الذى يصوره الفلكلور بقرنين وذيل ماعز وممسك بشوكة
طويله. الشيطان ليس بأبله بل أنه بالغ المكر والدهاء .
الاسلام فيه كل مقومات الأديان الوضعية ل:نه دين بلا مخلص.

الكتاب الذى بين يديك عزيزى القارئ يقيم الدليل تلو الآخر على ذلك استنادا على
الآيات القرآنية كما فسرها كبار المفسرين وعلى الأحاديث الصحيحة وعلى السيرة
النبوية لابن هشام (ابن اسحق) .
يبقى أن نقول أن الاله المنعدم القداسة يستحيل أن يكون هو الاله الحى الحقيقى .

الباب الأول

صفات الله فى القرآن

المضل و المضلل

- "فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء" ابراهيم ٤ .
"ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء" النحل ٩٣ .
".قل ان الله يضل من يشاء" الرعد ٢٧ .
" فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء " فاطر ٨ .
" كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء" المدثر ٣١ .
" ان الذين حققت عليهم كلمات ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية" يونس ٩٦ - ٩٧ .
"من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم" الأنعام ٦ .
" من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون" الأعراف ٧ .
"من يضلل الله فلا هادى له" الأعراف ١٨٦ .
"من يضلل الله فما له من هاد" الرعد ٣٣ .
"من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فلم تجد له وليا مرشدا" الكهف ١٧ .
"من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون" الأعراف ١٧٨ .
"ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله" الأنعام ١١١ .
"ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها" السجدة ١٣ .
"ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا" الرعد ٣١ .
"ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا" يونس ٩٩ .
" أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم" محمد ٢٣ .
"وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا" الأنعام ١١٦ .
" وأذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا , وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا" الاسراء ٤٥ - ٤٦ .
"وأذا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا , وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا أبدا" الكهف ٥٧ .
" ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء" الأعراف ١٥٥ .
" قل ان الله يضل من يشاء ويهدى اليه من أناب" الرعد ٢٧ .
"ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء" ابراهيم ٢٧ .
"كذلك الله يضل كل مسرف مرتاب" غافر ٣٤ .
"كذلك يضل الله الكافرين" غافر ٧٤ .
"ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا" النساء ٨٨ .

- ."ومن يضل الله فلن تجد له سييلا " النساء ١٤٣ .
- ."ومن يضل الله فما له من هاد " الزمر ٢٣ .
- ."ومن يضل الله فما له من هاد " غافر ٣٣ .
- ."ومن يضل الله فما له من ولي من بعده " الشورى ٤٢ .
- ."ومن يضل الله فما له من سبيل " الشورى ٤٦ .
- ."ومن يرد أن يضلله يجعل صدره ضيقا حرجا " الأنعام ١٢٥ .

المخادع

ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم . النساء ١٤٢ .

المتكبر

"السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر " الحشر ٢٣ .

خير الماكرين

- ."ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين " آل عمران ٥٤ .
- ."ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين " الأنفال ٣٠ .
- ."وقد مكر الذين من قبلهم فله المكر جميعا " الرعد ٤٢ .
- ."ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون " النمل ٥٠ .
- ."قل الله أسرع مكرا " يونس ٢١ .

ملهم الفجور

"ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها " الشمس ٨ .

يأمر بالفسق ليهلك الناس

"وإذا اردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا" الاسراء ١٦
 "وكذلك جعلنا فى كل قرية أكبر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بأنفسهم وما يشعرون"
 الأنعام ١٣٣

ليس وحده الخالق

"فتبارك الله أحسن الخالقين" المؤمنون ١٤

يقسم بمخلوقاته

عندما يقسم شخص فانه يقسم بما هو أعظم منه . ولهذا يقول الكتاب المقدس عن الله :
"فانه لما وعد الله ابراهيم , اذ لم يكن له أعظم يقسم به , أقسم بنفسه قائلا " انى لأباركك بركة
وأكثرك تكثيرا" (عبرانيين ٦ : ١٣ .
ولكن الغريب أن اله القرآن يقسم بمخلوقاته كما هو واضح فى الآيات التالية :
"والليل وما وسق والقمر اذا اتسق " الانشقاق ١٧ - ١٨
"والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها والسماء وما بناها والأرض
وما طحاها" الشمس ١ - ٦ .
"والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى " الضحى ١ - ٣ .
"والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الأمين" التين ١ - ٣ .
"والسماء والطارق وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب, ان كل نفس لما عليها حافظ" الطارق ١ - ٤ .

يبيح انكاره

"ومن كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم
غضب من الله ولهم عذاب عظيم " النحل ١٠٦

يبيح الحنث فى القسم

ولا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حلیم" البقرة ٢٢٥

يتقى شر الناس بأن يؤلف قلوبهم بالمال

"انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم... " التوبة ٦٠

يحرص على قتل الناس ليتبعوا دينه

"يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال" الأنفال ٦٥ .
"ويسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير" البقرة ٢١٧
"أنفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله .." التوبة ٩ : ٤١
"يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير " التوبة ٩ : ٧٣
" فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق... " محمد ٤
" فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الأعلون... " محمد ٣٥
" كتب عليكم القتال وهو كره لكم" البقرة ٢١٦
"وقاتلوا فى سبيل الله وأعلموا أن الله سميع عليم" البقرة ٢٤٤

"وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم" الأنفال ٦٠
" ألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فأضربوا فوق الأعناق وأضربوا منهم كل بنان " الأنفال ١٢
"وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.." الأنفال ٣٩
" قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق
من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون" التوبة ٢٩
" ..ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون"
التوبة ١١١
" ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة
والله عزيز حكيم" الأنفال ٦٧ .

يحلل النهب

"وأغنموا أنما غنمتم من شئ فإن لله خمسه وللرسول ولليتامى والمساكين وابن السبيل ..فكلوا مما
غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم " الأنفال ٤١ و ٦٩

يبيح ملك اليمين (الرقيق الأبيض)

"فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم
ذلك أدنى ألا تعولوا" النساء ٣ .

يلبى طلبات الذى لا ينطق عن الهوى

"يا أيها النبى انا احللنا لك ازواجك اللاتى آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات
عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها
للنبي ان اراد النبى أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين ..." الأحزاب ٥٠ .

يتحسر

يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ . يس ٣٠ .

ينفخ فى الفروج

وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا
مِنَ الْقَاتِلِينَ . التحريم ١٢ .

يقترض من عبده

مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ . الحديد ١١ .
إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ . الحديد ١٨ .
إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفَهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ . التغابن ١٧ .
مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ
البقرة ٢٤٥ .

ملائكته تعرف الغيب وتعرض على قراراته

"وإذا قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك . قال انى أعلم ما لا تعلمون" البقرة ٣٠ .

يبيح السجود لغيره

" ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس .." الأعراف ١١ .

يتستر على ما أوحى به الشيطان الى نبيه (الآيات الشيطانية)

"أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى لكم الذكر وله الأنثى تلك اذا قسمة ضيزى"

النجم ١٩-٢٢

"أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى تلك الغرائيق العلى ان شفاعتهن لترتجى"

النجم ١٩-٢٢

القراءة الثانية هي الأصلية والقراءة الأولى هي الناسخة . القرآن نفسه يشرح هذا .

ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض، والقاسية قلوبهم الحج ٥٣"

"وإن كأدوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلا، ولولا ثببتك لقد

كدت تركن إليهم شيئا قليلا " الإسراء ٧٣،٧٤

"وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي

الشيطان ثم يحكم الله آياته" . (الحج ٥٢) .

اله عنده مشاغل

سنفرغ لكم أيها الثقلان . سورة الرحمن ٣١ .

الله هنا يتوعد الأنس والجن بأنه بعد أن تنتهي مشاغله سوف ينتقم منهما . هل هذا كلام يليق

باله حقيقى!؟

لا يفهم ايمان المسيحيين

"أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ..." التوبة ٤٠ .
"أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى ألهين من دون الله .." المائدة ١١٦ .

له ناقة

هذه ناقة الله آية لكم. سور الأعراف ٧٣.

يردح لانسان

تبت يدا أبى لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى ناراً ذات لهب وامرأته حمالة الحطب فى
جيدها حبل من مسد" . سورة المسد

جنته ماخور

" متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور العين " الطور ٢٠ .
" حور مقصورات فى الخيام لم يطمئنهن انس ولا جان متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان "
الرحمن ٧٢-٧٤

يفترى على يوسف كذبا

" ولقد همت به وهم بها لولا أن رءا برهان ربه .." يوسف ٢٤ .
لا تذكر التوراة مطلقاً أن يوسف هام بها بل انه قال " كيف أفعل هذا الشر العظيم وأخطئ الى الله "

ينقل وحيه عن كتاب

يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (الرعد ٣٩).

يكره البشر الذين خلقهم

"قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين" آل عمران ٣١ .
".فان الله عدو للكافرين" البقرة ٨٩ .

يأمر نبيه بقتل اسراه

"ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض " الأنفال ٦٧ .

محتاج الى العبادة

"وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون" الذاريات ٥٦ .

ليس لديه مشكلة في أن ينكر المؤمنون الايمان به

" من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان .." . الأنبياء ١٠٦ .

يفترى على اليهود

" وقالت اليهود عزيز ابن الله" التوبة ٣٠ .

يغير كلامه

" ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها..." البقرة ١٠٦ .

" وإذا بدلنا آية مكان آية" النحل ١٠١ .

يسمح بطلاق النساء لأي سبب

" عسى ربه ان يطلقن أن يبده أزواجا خير منكن..." التحريم ٥ .

يأمر بضرب النساء

" والاتي تخافون نشوزهن فعظوهن وأهجووهن فى المضاجع وأضربوهن" النساء ٣٤ .

يظلم النساء فى الميراث

"يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين .." النساء ١١ .

زنى وٲن سرق؟ قال: وٲن زنى وٲن سرق، على رعم أنف أبي ذر؁ وكن أبو ذر إذا حدث
بهذا؁ قال وٲن رعم أنف أبي ذر.

وصف الجنة الحسية: ماخور اله الاسلام

في كتابه الشهير " حادى الأرواح الى بلاد الأفراح " لإبن قيم الجوزية وصف مفصل للجنة كما صورها محمد لسامعيه من الأعراب.

والكتاب مكون من تسعة وستون بابا تسرد أدق تفاصيل هذه الجنة الوهمية كما كانت في الخيال الإعرابي في القرن السابع الميلادي. ونحن هنا نلتقط بعض الملامح القليلة لهذه الجنة لكي نبين للقارئ الكريم استحالة أن تكون للاله الحقيقى أية علاقة بها .

١ - درجات الجنة ووجود العرش فوقها ووجود نهر النيل فيها:

كما روى البخاري في صحيحه: من حديث أبي هريرة عن النبي (ص) أنه قال: " إن في الجنة مائة درجة أعدها الله عز وجل للمجاهدين في سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه في وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة" (١).

وروى الترمذي نحوه: من حديث معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت ولفظ حديث عبادة: " الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام والفردوس أعلاها درجة، ومنها الأنهار الأربعة والعرش فوقها فإن سألتم الله فاسألوه الفردوس الأعلى" (٢).

وفي المعجم للطبراني: من حديث الحسن عن سمرة قال: قال رسول الله (ص) " الفردوس ربوة الجنة وأعلاها وأوسطها ومنها تنفجر أنهار الجنة" (٣).

وفي صحيح البخاري: من حديث شعبة عن قتادة قال: أخبرني أنس بن مالك أن رسول الله (ص) قال: " رفت الى سدرة المنتهى في السماء السابعة نيقها مثل قلال حجر وورقها مثل أذان الفيلة يخرج من ساقها نهران ظاهران ونهران باطنان فقلت: يا جبريل ما هذا قال: أما النهران الباطنان ففي الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات" (٤).

٢ - الله يعطى محمد نهر الكوثر في الجنة:

همام عن قتادة عن أنس أن رسول الله (ص) قال: " بينا أنا أسير في الجنة إذا بنهر حافته قباب اللؤلؤ المجوف فقلت: ما هذا يا جبريل قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك قال فضرب الملك بيده فإذا طينة مسك أذفر" (٥).

وفي صحيح مسلم: من حديث المختار بن فلفل عن أنس بن مالك عن النبي (ص) قال: " الكوثر نهر في الجنة وعدنيه ربي عز وجل" (٦).

وقال محمد بن عبد الله الأنصاري: حدثنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (ص) " دخلت الجنة فإذا بنهر يجري حافته خيام اللؤلؤ فضربت يدي إلى ما يجري فيه من الماء فإضا أنا بمسك أذفر فقلت: لم هذا يا جبريل قال: هذا الكوثر الذي أعطاك الله عز وجل" (٧).

قال الترمذي: حدثنا هناد حدثنا محمد بن فضيل عن عطاء بن السائب عن محارب ابن دثار عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله (ص) " الكوثر نهر في الجنة حافته من ذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته أطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل، وأبيض من الثلج" (٨).

٣ - جنتان من ذهب وجنتان من فضة:

وقد أخرجنا في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري أن رسول الله (ص) قال: "جنتان من ذهب أنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة أنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن" (٩).

وفيهما أيضا من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله (ص): "إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة، لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يمتخطون، ولا يتفلون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة، وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم عليه السلام ستون ذراعا في السماء" (١٠).

٤ - مناديل سعد بن معاذ الذي إهتز عرش الرحمن لموته:

وفي الصحيحين: عن أنس بن مالك قال: أهدى أكيدر دومة إلى النبي (ص) جبة من سندس فتعجب الناس من حسننها، فقال: "لمناديل سعد في الجنة أحسن من هذا" (١١).

وفي الصحيحين: من حدبِق البراء قال: أهدى لرسول الله (ص) ثوب حرير فجعلوا يعجبون من لينه فقال رسول الله: "تعجبون من هذا؟ لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا" (١٢).

٥ - خيام أهل الجنة:

قال تعالى: {حُورٍ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ} [الرحمن: ٧٢].

وفي الصحيحين: من حديث أبي موسى الأشعري عن النبي (ص) قال: "إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مَجُوفَةٌ طولها ستون ميلا، فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا" وفي لفظ لهما: "في الجنة خيمة من لؤلؤة مَجُوفَةٌ عرضها ستون ميلا في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمن" (١٣).

٦ - كل من يدخل الجنة على صورة آدم طوله ستون ذراعا:

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق قال حدثنا معمر عن همام عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ص): "خلق الله عز وجل آدم على صورته، طوله ستون ذراعا، فلما خلقه، قال له: إذهب فسلم على أولئك النفر، وهم نفر من الملائكة جلوس، فاستمع ما يُحيونك، فأنها تحيتك، وتحية ذريتك، قال: فذهب فقال: السلام عليك، فقالوا: السلام عليكم ورحمة الله، فزادوه ورحمة الله، قال: فكل من يدخل الجنة على صورة آدم طوله ستون ذراعا، فلم يزل ينقص الخلق بعده حتى الآن" (١٤)، متفق على صحته.

٧ - ظل شجر الجنة (قارن مع قيظ شمس الظهيرة في حياة الأعرابي):

وفي الصحيحين: من حديث أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ص): "إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها فأقرءوا إن شئتم {وَظِلٌّ مِمْدُودٌ}" (١٥).

وفي الصحيحين أيضا: من حديث أبي حازم عن سهل بن سعد عن رسول الله (ص): "إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها" قال أبو حازم فحدثنا به النعمان بن أبي

عياش الزرقى فقال: حدثني أبو سعيد الخدري عن النبي (ص): "إن في الجنة لشجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها" (١٦).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا شعبة عن أبي الضحاك سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله: "إن الجنة شجرة يسير فيها الراكب في ظلها سبعين أو مائة سنة هي شجرة الخلد" (١٧).

٨ - فقراء المهاجرين يأكلون ثور الجنة:

روى مسلم في صحيحه من حديث ثوبان قال: كنت قائما عند رسول الله (ص) فجاء حبر من أحبار اليهود، فقال: السلام عليك يا محمد، فدفعته دفعة كاد يصرع منها، فقال: لم تدفعني، فقلت: ألا تقول يا رسول الله! فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله، فقال رسول الله (ص): "إن اسمي محمدا الذي سماني به أهلي"، فقال اليهودي: جئت أسألك، فقال له رسول الله: "أينفعك بشيء أن حدثتك"، فقال: اسمع بأذني فنكث رسول الله بعود معه فقال، سل؟ فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض؟ فقال رسول الله: "في الظلمة دون الجسر"، قال: فمن أول الناس إجازة يوم القيامة؟ قال: "فقراء المهاجرين"، قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: "زيادة كبد النون"، قال: فما غذاؤهم على أثرها؟ قال: "ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها"، قال: فما شرايهم؟ قال: "من عين فيها تسمى سلسيلا"، قال: صدقت، قال: وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان، قال: "أينفعك إن حدثتك؟"، قال: أسمعك بأذني، قال: جئت أسألك عن الولد؟ قال: "ماء الرجل أبيض، وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعلا منى الرجل منى المرأة أذكر بإذن الله تعالى، وإن علا منى المرأة منى الرجل أننا بإذن الله تعالى"، قال اليهودي: لقد صدقت، وإنك لنبي، ثم انصرف، فقال رسول الله (ص): "لقد سألتني هذا، عن الذي سألتني عنه ومالي علم بشيء منه حتى أتاني الله عز وجل به" (١٨).

٩ - سيقان شجر الجنة من الذهب:

وفي جامع الترمذي: من حديث أبي حامد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ص): "ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب" قال: هذا حديث حسن (١٩).

١٠ - محد أول من يأخذ بحلقة باب الجنة:

وقد روى سهيل: بن أبي صالح عن زياد النمري عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (ص): "أنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة ولا فخر" (٢٠).

١١ - محمد هو أول من يقرع باب الجنة:

وفي صحيح مسلم: من حديث المختار بن فلفل عن أنس قال: قال رسول الله (ص): "أنا أكثر الناس تبعا يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة" (٢١).

١٢ - محمد هو أول من يفتح له باب الجنة:

وروى مسلم في صحيحه: من حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله: "أتى باب الجنة يوم القيامة، فأستفتح فيقول الخازن: من أنت فأقول: محمد فيقول: بك، أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك" (٢٢).

١٣ - أنية الجنة من الذهب والفضة:

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري عن رسول الله (ص) أنه قال: "جنتان من ذهب أنيتهما وحليتهما وما فيهما، وجنتان من فضة أنيتهما وحليتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن" (٢٣).

١٤ - أمشاط أهل الجنة من الذهب والفضة:

في الصحيحين من حديث همام بن منبه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: رسول الله (ص): "أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصق فيها ولا يتغوطون فيها، ولا يتمخطون فيها، أنيتهم وأمشاطهم الذهب والفضة، ومجامرهم الألوة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقها من وراء اللحم الحسن، لا اختلاف بينهم، ولا تباغض، قلوبهم على قلب رجل واحد، يسبحون الله بكرة وعشيا" (٢٤).

١٥ - فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء إلى الجنة بأربعين خريفا:

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله (ص) يقول: "فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة بأربعين خريفا" (٢٥).

١٦ - أكثر أهل الجنة من المسلمين:

في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله (ص): "أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟" فكبرنا، ثم قال: "أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟" فكبرنا، ثم قال: "إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة، وسأخبركم عن ذلك ما المسلمون في الكفار إلا كشعرة بيضاء في ثور أسود أو كشعرة سوداء في ثور أبيض" (٢٦).

هذا لفظ مسلم، وعند البخاري: "وكشعرة سوداء في ثور أبيض" بغير ألف.

١٧ - الرجل يرى مخ ساق زوجته من وراء الثياب:

رواه الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا يونس عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي (ص): "للرجال من أهل الجنة زوجتان من الحور العين، على كل واحدة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الثياب" (٢٧).

١٨ - النساء يكثرن اللعن ويكفرن العشير:

عن جابر قال: شهدت مع رسول الله (ص) العيد صلى قبل أن يخطب بعد ما صلى فوعظ الناس وذكرهم ثم أتى النساء فوعظهن ومعه بلال فذكرهن وأمرهن بالصدقة، قال: فجعلت المرأة تلقى خاتمها وخرصها والشيء كذلك، فأمر النبي بلالا فجمع ما هناك، ثاب: "إن منكن في الجنة ليسير"، فقالت امرأة: يا رسول الله لم؟ قال: "إنكن تكثرن اللعن، وتكفرن العشير" (٢٨).

١٩ - أكثر أهل النار من النساء:

عن عمران بن حصين قال: بلغني أن رسول الله (ص) قال: "اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء واطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء" (٢٩).

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ص): "اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء" (٣٠).

وروى الإمام أحمد بإسناد صحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ص): "اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء، واطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء" (٣١).

وفي الصحيح من حديث ابن عمر عن رسول الله (ص) قال: "يا معشر النساء تصدقن، وأكثرن الإستغفار، فإني رأيتكن أكثر أهل النار؟"، فقالت امرأة منهن: وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار؟ فقال: "تكثرن اللعن، وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لدى لب منكن"، قالت: يا رسول الله وما نقصان العقل والدين؟ قال: "أما نقصان العقل، فشهادة امرأتين تعدل بشهادة رجل، فهذا نقصان العقل، وتمكت الأيام لا تصلي وتفطر فهذا نقصان الدين" (٣٢).

٢٠ - مسلمون يدخلون الجنة بغير حساب:

ثبت في الصحيحين من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: "يدخل الجنة من أمتي زمرة هم سبعون ألفا تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر"، فقام عكاشة بن محصين الأسدي يرفع نمرة عليه، فقال: يا رسول الله: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال رسول الله (ص): "اللهم اجعله منهم"، فقام رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: "سبقك بها عكاشة" (٣٣).

وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد أن رسول الله (ص) قال: "ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب أو سبعمائة ألف أخذ بعضهم ببعض حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر" (٣٤).

٢١ - المسك تراب الجنة:

وفي الصحيحين من حدث الزهري عن أنس بن مالك قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله (ص) قال: "أدخلت الجنة فإذا فيها جناذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك" (٣٥).

وقد روى مسلم في صحيحه من حديث حماد بن سلمة عن الحريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله (ص): سأل ابن صياد عن تربة الجنة فقال: درمكة بيضاء مسك خالص، فقال رسول الله (ص): "صدق" (٣٦).

٢٢ - المؤمنون لا يرون بعضهم بعضا في الجنة:

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري عن النبي (ص) قال: "إن للمؤمن في الجنة خيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا، فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن، فلا يرى بعضهم بعضا" (٣٧).

٢٣ - بيت خديجة في الجنة:

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن أبي أوفى وأبي هريرة وعائشة أن جبريل قال للنبي (ص): هذه خديجة أقرئها السلام من ربها، وأمره أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب (٣٨)، والقصب هنا قصب اللؤلؤ المجوف.

٢٤ - قصر عمر بن الخطاب في الجنة:

وفي الصحيحين من حديث حميد عن أنس أن النبي (ص) قال: "أدخلت الجنة، فإذا أنا بقصر من ذهب، فقلت: لمن هذا القصر، قالوا: لشاب من قريش، فظننت أني أنا هو، فقلت: ومن هو؟ قالوا: لعمر بن الخطاب (٣٩).

٢٥ - المؤمن يوتي قوة مائة رجل في الجماع:

وقد روى الترمذي في جامعه من حديث قتادة عن أنس عن النبي (ص) قال: " يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع"، قيل: يا رسول الله أو يطيق ذلك؟ قال: " يعطي قوة مائة" (٤٠).

٢٦ - دحما دحما:

قال الطبراني: وحدثنا عبدان بن أحمد حدثنا محمد بن عبد الرحيم البرقي حدثنا عمرو بن أبي سلمة حدثنا صدقة عن هاشم بن زيد عن سليم بن أبي يحيى أنه سمع أبا أمامة يحدث أنه سمع رسول الله (ص) وسئل هل يتناكح أهل الجنة؟ قال: " بذكر لا يمل، وشهوة لا تنقطع دحما دحما" (٤١).

٢٧ - الحمل والوضع في ساعة واحدة:

قال الترمذي في جامعه: حدثنا بندار حدثنا معاذ بن هشام قال حدثني أبي عن عامر الأحول عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (ص): " المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة كان حمله ووضع وسنه في ساعة كما يشتهي" (٤٢).

٢٨ - أهل الجنة لا ينامون:

روى ابن مردويه من حديث سفيان الثوري عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه قال: رسول الله (ص): " النوم أخو الموت، وأهل الجنة لا ينامون".

وذكر الطبراني من حديث يحيى بن سعيد الأنصاري عن محمد بن المنكدر عن جابر قال: سئل نبي الله (ص) فقيل: أينام أهل الجنة؟ فقال النبي: " النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون" (٤٣).

٢٩ - الرجل له ذكر لا ينتهي في الجنة

١- ذكر ابن وهب عن محمد بن كعب القرظي أنه قال: " والله الذي لا إله إلا هو لو أن امرأة من الحور العين أطلعت سوارها من العرش لأطفأ نور سوارها نور الشمس والعمر

٢- قال ابن عباس " إن في الجنة حوراء يُقال لها لعبة لو بزقت في البحر لعذب ماء البحر كله مكتوب على نحرها من أحب أن يكون له مثلي فليعمل بطاعة ربي عز وجل".

٣- روي الغزالي في إحياء علوم الدين: " إن أية امرأة من نساء أهل الجنة لو أطلعت على الشرق والمغرب، ولملأت ما بينهما وبين الجنة رائحة طيبة، وأن على الأرض لأضاءت ما بين بصر، رأى صاحب البصر مخ ساقها من وراء ذلك". الواحدة من الحور العين ثوب إذا انفذها

٤- روي أيضا أن نساء الجنة خالدات البكارة، وأن شغل أهل الجنة هو افتضاض الأبكار وأن يتزوج خمسمائة حوراء وأربعة آلاف بكر وثمانية ألف ثيب، يعانق كل أدنى أهل الجنة منزلة واحد منهم مقدار عمره في الدنيا، وأن في الجنة سوقا ما فيها بيع ولا شراء إلا صور من الرجال والنساء فإذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها، وما من عبد يدخل الجنة إلا وتحت رجله اثنتان من الحور العين يغنيانه بأحسن صوت سمعه لأنس والجن وليس بمزمار الشيطان، ولكن بتحميد الله وتقديسه.

٥- روي الترمذي أن رسول الله سئل عن الحور العين من أي شيء خلقن فقال: " من ثلاثة أشياء، أسفلهن من المسك وأوسطهن من العنبر، وأعلىهن من الكافور وشعورهن وحواجبهن سواد خط من النور".

- ٦- ذكر الدارمي في مسنده عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله: " أن الرجل من أهل الجنة ليعطي قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع والشهوة."
- ٧- عن ابن عباس قال: قلنا يا رسول الله أنفضي لنسائنا في الجنة كما نفضي إليهن في الدنيا قال: " أي والذي نفسي في بيده إن الرجل ليفضي في الغداة الواحدة الى مائة عذراء."
- ٨- عن أبي محمد الدارمي عن أبي أمامة قال رسول الله: " ما من أحد يدخله الله الجنة إلا زوجه اثنتين وسبعين من الحور العين وسبعين من ميراثه من أهل النار، ما منهن واحدة إلا ولها قبل شهى، وله ذكر لا ينثني."
- ٩- وروي من حديث أبي هريرة عن رسول الله هل تمس أهل الجنة أزواجهم فقال نعم " بذكر لا يمل وفرج لا يحفى وشهوة لا تتقطع."

اله يشرع البغاء

من بين الآيات، التي طالما تسترعى الانتباه لدى أى دارس للقرآن، تبرز الآية رقم ٣٣ في سورة النور والتي تقول " وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يُعنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ولا تکرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم". الجزء المتعلق بالبغاء، - والذي يبدو أنه قد أحمق أقحاما على النص، وبصورة لا تتناسب مع سياق الآية - يشكل لغزا عصيا بالنسبة لكل مسلم عاقل .. الآية موجهة للمسلمين، فما علاقة المسلمين بالبغاء؟؟

الجواب الجاهز لدى المشايخ هو أن البغاء - الدعارة - كان من الظواهر اللاأخلاقية التي كانت منتشرة في الجزيرة العربية في العصر الجاهلي، والتي جاء الإسلام لمحاربتها والقضاء عليها قضاء مبرما .. الظاهرة - كما يستطرد الشيخ - كانت موجودة في مكة عندما تلقى محمد " الرسالة "، كما أنها كانت موجودة أيضا في يثرب عندما هاجر إليها الرسول محمد، حيث كان لدى بعض من تظاهروا بالإسلام (المنافقين) مواخير تعمل فيها فتياتهن أي أمائهن - وهن الرقيق من النساء. وإن الآية نزلت لتأمرهم بالكف عن تلك الأفعال الشنيعة التي تتناقض مع أركان الدين، وتشوه صورة الإسلام والمسلمين.

ولكن هذا الجواب، يثير بدوره العديد من الأسئلة. وخاصة فيما يتعلق بالقضاء المبرم على تلك الظاهرة. لأن الآية تركت الباب مفتوحا - من الناحية التشريعية - لمالكي الفتيات في أن يستمروا في مزاوله تجارتهم طالما أن الفتيات موافقات على ممارسة البغاء، أي برضاهن، فإن أردن - أي الفتيات - تحصنا، ورفضن الإستمرار في ممارسة الدعارة، فإن على المالك أن لا يكرههن على فعل ذلك، وإلا .. وإلا ماذا .. لا شيء .. لأن الله غفور رحيم!!

وبعبارة أخرى أن الإسلام يتدخل في حالة أكره الفتاة غير الراغبة بممارسة الدعارة، بتقديم النصيحة لمالكها فقط، وما عدا ذلك فإن الله غفور رحيم!! هل يعقل هذا .. دعارة وبغاء وزنا في الإسلام .. عيني عينك هكذا .. وفي عهد من .. عهد الرسول محمد الذي اشترط على المؤمنات لدخول الإسلام عدم ممارسة الزنا؟؟ هذه الأسئلة كانت على طرف لساني، ولكنني لم أجرؤ على طرحها بالطبع .. وإنما احتفظت بأسئلتني لنفسي، وأخذت أطور لنفسي نظرية خاصة للخروج من هذا التناقض. كان الحل الوحيد في وجهة نظري آنذاك، أن الإسلام قد وضع الأرضية المناسبة لحل هذه المعضلة، مثلما فعل مع أصل المشكلة أي العبودية. حيث راهن الإسلام، على سمو أخلاق المسلمين، ووضع لهم الحوافز الأخلاقية والدينية، ورغبهم في عتق العبيد والإماء، فإذا ما تم تحرير جميع العبيد والإماء، فلن يعود هناك من سيد يجبر أمته على البغاء، ولن تكون هناك أمة تمارس الدعارة بعد أخذ موافقة مالكها .. أليس كذلك؟؟ حل معقول، ولكنه حل زمني، أي يحتاج الى وقت لتحقيقه، والى أن يتم ذلك، كان على الرسول محمد أن يتحمل وجود دور الدعارة في المدينة، ويغض النظر عنها، وعن ما يحدث فيها من ممارسات يندى لها الجبين؟؟ وهكذا عدت الى نقطة البداية، ولم استطع تجاوزها، الا بعد أن أخذت انظر الى الإسلام، ومحمد، نظرة أكثر واقعية نظرة أنسانية، تضع الأمور في سياقها التاريخي الصحيح. ولنعد مرة أخرى الى الآية السابقة ونبحث في الظرف التاريخي الذي نزلت فيه. يذهب معظم مفسري القرآن، الى أن ذلك الجزء من الآية الوارد في سورة

النور المتعلق بالبغاء، إنما قد نزل في عبد الله بن أبي بن سلول، الذي كان سيد الخزرج، وكاد أن يصبح ملكا على يثرب، لولا قدوم محمد إليها، مما قضى على طموحاته السياسية. ويجمع المسلمون - الذين قلما أجمعوا على شيء - على أن ابن سلول، هو رأس المنافقين، الذين دخلوا الإسلام في الظاهر، وناصبوه العداوة في الباطن. وكان لابن سلول مواقف مشهودة، تجرأ فيها على محمد واهانه وتأمير عليه. وفي المقابل كان محمد، يكظم غيظه ويحاول أن يتفادى الدخول في صراع مكشوف مع ابن سلول بأي طريقة كانت، لأنه كان يدرك أن مواجهة من هذا النوع، تستتار فيها النعرات والعصبيات، ستطيح بأحلامه بإقامة الدولة الإسلامية المنشودة. وفي هذا السياق، حدثت القصة التالية: كان لابن سلول اماء يساعين - أي يمارسن البغاء - وكان يأخذ منهن ما يحصلن عليه من أجر، وإذا حبلت أي منهن نتيجة ممارسة الزنا، كان يأخذ المولود، يربيه ويبيعه. وكان هذا أمرا شائعا لدى العرب آنذاك، ولا ينقص من قدر الرجل الذي يقوم به - بدليل أن أهل يثرب كادوا أن ينصبوا ابن أبي سلول ملكا عليهم. ويبدو أن الكيل قد طفح بإحدى الأماء، فقررت التمرد والثورة على ذلك الوضع المزري الذي كانت تعيشه، ويروي الطبري في تفسيره لسبب نزول هذه الآية أن " أمة لعبد الله بن أبي، أمرها فزنت، فجاءت ببرد، فقال لها ارجعي فإنني، فقالت والله لا أفعل، أن يك هذا خيرا (أي الزنا) فقد استكثرت منه، إن يكن شرا فقد أن لي أن أدعه".

وأما ابن كثير فيورد قصة أكثر دلالة إذ يشير الى أنه بعد غزوة بدر وقع في نصيب ابن أبي سلول، أسير من قريش، ويقول " وكانت لعبد الله ابن ابي بن سلول، جارية يقال لها معاذة، وكان القرشي الأسير يريد لها على نفسها، وكانت مسلمة، وكانت تمتنع منه لإسلامها، وكان عبد الله بن أبي يكرهها على ذلك، ويضربها رجاء أن تحمل من القرشي فيطلب فداء ولده".

وآيا كانت القصة، فإن ما حدث بعد ذلك، هو أن الأمور تصاعدت باتجاه حدوث المواجهة التي طالما سعى إليها ابن سلول، وكان يتحاشاها محمد بأي ثمن .. إذ لجأت الفتاة الى ابي بكر وشكت له حالها، وبدوره قام أبو بكر بإخبار الواقعة للرسول .. وهنا أسقط في يد محمد إذ كان أمامه خيارين لا ثالث لهما .. أما أن ينتصر للفتاة المسكينة ويواجه ابن سلول، ويجازف بخسارة كل ما سعى لتحقيقه .. وأما أن يخذلها ويفقد مصداقيته أمام المؤمنين بدعوته.

يقول ابن كثير " فأقبلت الجارية الى ابي بكر رضي الله عنه فشكت إليه ذلك، فذكره أبو بكر للنبي، فأمره بقبضها، فصاح عبد الله بن أبي من يعذرنا من محمد يغلبنا على مملوكتنا، فأنزل الله فيهم هذا!!!. وكما يتضح من قول ابن سلول " من يعذرنا من محمد" - أي من يلومنا فيه - أنه رأى في الواقعة فرصة سانحة للتخلص من غريمه، ولعله اعتقد أنه قد حشر محمد في الزاوية .. ولكن فات ابن سلول أن محمدا كان يمتلك سلاحا لا قبل له به، وهو جبريل - أي الوحي! إذ ما أن وصلت الأمور الى نقطة الصدام، حتى نزل جبريل مسرعا ومسعفا محمد بمخرج من هذه الأزمة الخائفة .. فجاءت تلك الآية بصياغتها التوفيقية العجيبة، لتطفىء النار التي كان يحاول ابن سلول إشعالها!! ولا تكررهما فتيانكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم".

ومن يتمعن في تلك الآية يجد أنها حاولت رفع الحرج عن محمد في عدم التدهل لنصرة تلك الجارية، من خلال حصر المسألة بين السيد وأمه - والتي تعتبر مما ملكت أيمانه وله أن يفعل فيها ما يشاء دور محمد هنا يقتصر على نصح السيد بعدم إكراه فتاته على البغاء، فإن ضرب السيد عرض الحائط بهذه النصيحة، فإن المسألة هنا قد خرجت من يد محمد، وأصبحت بين مالك الجارية وبين الله، والذي هو بالمناسبة غفور رحيم!!

وأما بالنسبة للفتاة المسكينة التي ترفض ممارسة الزنا لأنها تريد تحصين نفسها، فإنه لا حرج عليها طالما أنها مكرهه على فعل ذلك. وأما بالنسبة لابن سلول، فعلىنا أن نلاحظ الصياغة السياسية الركيكة والمخادعة للآية، والتي تتحاشى القاء لوم مباشر أو غير مباشر على مالك الفتاة - ابن سلول - ومن يُكرههُنَّ فإن الله من بعد إكراههنَّ غفورٌ رحيمٌ " .. ماذا سيحدث لمن ومن يُكرههنَّ. " وما هو جزاءه؟؟.. هذا التعمد الواضح في ترك الأمر مُبهما عل هذا النحو، إنما يهدف لإفساح المجال أمام محمد لإتخاذ الموقف الذي يشاء من ابن سلول. ولا يعطي أي ذريعة لإبن سلول في إتهام محمد بالسعي الى تحريض جواريه عليه أو كما قال : يغلبنا على مملوكتنا".

وهكذا طويت المسألة، الفتاة عادت الى الماخور، وابن سلول عاد لنصب المكائد لمحمد، وأما محمد الذي نجا من هذه الورطة بواسطة الوحي فقد سن قانونا للبقاء يستمد مشروعيته من تلك الآية - الفضيحة؟

(من موقع اللادينين العرب) .

الحسنات يذهب السيئات

فى العبادة الفرعونية القديمة كان الاله حورس يقود المتوفى من يده فى المحاكمة أمام قضاة محكمة الموتى والتي كانت تتألف من أوزير رئيس المحكمة واتباعه ال ٢ ٤ وكان أمام أوزير ميزان لوزن قلب الميت فى مقابلة ريشة العدالة معت. ويوجد بجوار ميزان العدالة الاله أنوبيس ويقوم المعبود تحوت بتسجيل نتيجة وزن المتوفى.

ويذكر الفصل ١٢٥ من كتاب الموتى بمجموعة كبيرة من انكار المتوفى للاعمال والصفات السيئة فى حياته الدنيا .

العجيب أن يستعير اله الاسلام فكرة الحساب وميزان الحسنات والسيئات من العبادات الوثنية الى الاسلام ولذا فاننا نرى فيه كيف يكافئ اله الاسلام عبده على اساس أعمالهم . والآيات التالية خير شاهد على ذلك:

".. ونودوا أن تلکم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون.. " الأعراف ٤٣ .

".. يقولون سلام عليكم أدخلوا الجنة بما كنتم تعملون.. " النحل ٣٢ .

".. وتلك الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون " الزخرف ٧٢ .

".. كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون " الطور ١٩ .

".. أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون.. " الأحقاف ١٤ .

".. فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون " السجدة ١٩ .

".. تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين " العنكبوت ٥٨ .

".. نتبوا من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين " الزمر ٧٤ .

فيما يلى عرض لبعض الأعمال اليسيرة التي ينصح بها أحد المشايخ المسلمين لما يترتب عليها من الأجر الكثير ورغم هذا يغفل عنها كثير من الناس ويتهاونون بها، مع ما فيها من الثواب العظيم والأجر الجزيل، ومن تلك الأعمال:

١ - الإكثار من الصلاة فى الحرمين الشريفين

روى جابر بن عبد الله أن رسول قال: { صلاة فى مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه } [رواه

أحمد وابن ماجه وصححه الألباني]، وصلاة المرأة في بيتها أفضل من الصلاة في المسجد الحرام والمسجد النبوي.

٢ - الصلاة في مسجد قباء

قال رسول الله: { من خرج حتى يأتي هذا المسجد مسجد قباء فصلى فيه كان له عدل عمرة } [رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وصححه الألباني].

٣ - المواظبة على صلاة الضحى

وأفضل وقت لأدائها عند إشتداد الحر وإرتفاع الضحى، فقد قال عليه الصلاة والسلام: {صلاة الأوابين حين ترمض الفصال} [رواه الإمام مسلم].

٤ - الإستغفار المضاعف

وهو مثل قولك: (اللهم إغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات). قال الرسول: { من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة } [رواه الطبراني].

٥ - قيام ليلة القدر

هل تعلم أن ثواب قيامها أفضل من ثواب العبادة لمدة ثلاث وثمانين سنة وثلاثة أشهر تقريبا إنا أنزلناه في ليلة القدر (١) وما أدراك ما ليلة القدر (٢) ليلة القدر خيرٌ من ألف شهر (٣) تنزلُ الملائكةُ والروحُ فيها بإذن ربهم من كل أمر (٤) سلام هي حتى مطلع الفجر [القدر: ١-٥].

٦ - التسبيح المضاعف

وهو مثل قولك: (سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته) .

٧ - قول دعاء دخول السوق عند دخول السوق

قال الرسول: { من دخل السوق فقال: " لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يُحي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير " كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة } وفي رواية: { وبنى له بيتا في الجنة } [رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم عن ابن عمر].

٨ - الإعتام في رمضان

فالعمره في رمضان تعدل حجة كما قال لأم سنان { فإذا جاء رمضان فاعتمري، فإن عمرة فيه تعدل حجة } أو قال: { حجة معي } [متفق عليه].

٩ - التحلي ببعض آداب الجمعة

فقد قال الرسول: { من غسل يوم الجمعة واغتسل، ثم بكر وابتكر، ومشى ولم يركب، ودنا من الإمام، فإستمع ولم يلغ، كان له بكل خطوة عمل سنة أجر صيامها وقيامها } [رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن خزيمة وابن ماجه وصححه الألباني].

١٠ - الصيام

حث النبي على الإكثار من صوم النفل طوال أيام السنة فرغب في صيام أيام الإثنين والخميس، وأيام البيض، وشهر شعبان، وصيام ست من شوال، وشهر الله المحرم، وعشر ذي الحجة، وصيام يوم عرفة لغير الحاج، ويوم عاشوراء قال عليه الصلاة والسلام: { من صام يوماً في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً } [رواه البخاري ومسلم].

١١ - تفتير الصائمين

فقد قال عليه الصلاة والسلام: { من فطر صائماً كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئاً } [رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان وصححه الألباني].

١٢ - الإكثار من قول

(لا حول ولا قوة إلا بالله) فإنها كنز من كنوز الجنة، كما ورد في الحديث المتفق عليه عن الرسول.

١٣ - قضاء حوائج الناس

فقد قال عليه الصلاة والسلام (في حديث طويل): { ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إليّ من أن أعتكف في المسجد شهراً } [رواه الطبراني وحسنه الألباني].

١٤ - صلاة ركعتين بعد الشروق

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله: { من صلى الغداة في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمره } قال: قال رسول الله: { تامة تامة تامة } [رواه الترمذي وحسنه الألباني].

١٥ - كفالة الأيتام

عن سهل بن سعد عن النبي قال: { أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا }، وأشار بإصبعه السبابة والوسطى [رواه البخاري]، وباستطاعتك فعل ذلك عن طريق المؤسسات والمبرات الخيرية.

١٦ - الحرص على صلاة الجنابة

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: { من شهد الجنابة حتى يُصلى عليها فله قيراط، ومن شهدها حتى تُدفن فله قيراطان، قيل وما القيراطان؟ قال: مثل الجبلين العظيمين } [متفق عليه].

١٧ - الإكثار من الصلاة على النبي

فمن صلى عليه صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشراً، ويكون أولى الناس به يوم القيامة، وقد وكل الله سبحانه وتعالى ملائكة سياحين يحملون صلاة الأمة إلى نبيهم.

١٨ - صلاة العشاء والفجر في جماعة

فقد قال الرسول: { من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صل الليل كله } [رواه مسلم].

١٩ - التسبيح والتحميد والتكبير دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين

ثم قول: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير)،
فذلك فضله عظيم كما ورد في حديث فقراء المهاجرين الذي رواه أبو هريرة (حديث طويل متفق
عليه) يرجع له في باب الأذكار الواردة عقب الصلوات المفروضة.

٢٠ - الدعوة الى الله والنصح للآخرين

قال الرسول: { من دعا الى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من
أجورهم شيئا، ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم
شيئا } [رواه مسلم]، فالنصح للآخرين في الإتجاه الى الله تجري عليك بأجرها ما دام ينتفع بها الى
يوم القيامة ومن ذلك نشر الخير كنشر هذه الرسالة التي بين يديك فلك أجر من عمل بها الى يوم
القيامة بإذن الله.

٢١ - صلاة أربع ركعات قبل العصر

قال الرسول: { رحمم الله امرأة صلى قبل العصر أربعاً } [رواه أبو داود والترمذي] وتكون
الأربع ركعات بتسليمتين بعد أذان العصر وقبل الإقامة.

٢٢ - عيادة المريض

قال الرسول: { من عاد مريضا لم يزل في خرفة الجنة }، قيل يا رسول الله وما خرفة الجنة؟
قال: { جناها } [رواه مسلم]. ويستغفر لك سبعون ألف ملك (كما في حديث طويل رواه الترمذي)

٢٣ - الصيام وإتباع الجنائز و عيادة المريض وإطعام المسكين

إذا اجتمعت في مسلم في يوم دخل الجنة بفضل الله (كما حصل لأبي بكر) حيث قال رسول
الله في حديث أبي هريرة (حديث طويل): { ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة } [رواه مسلم].

٢٤ - الإصلاح بين الناس

قال الله تعالى: لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقةٍ أو معروفٍ أو إصلاح بين
الناس [النساء: ١١٤] وقد ورد في ذلك فضل عظيم في أحاديث عن الرسول لا يتسع
المجال لذكرها.

٢٥ - الإكثار من قول:

(سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) : فهي أفضل مما طلعت عليه الشمس، كما
ورد في

(حديث أخرجه مسلم) عن النبي. وهي أحب الكلام الى الله كما في الحديث الصحيح.

٢٦ - تكرار قراءة سورة الإخلاص

فإنها تعدل ثلث القرآن في الأجر والمعنى لما تحويه من توحيد الله وتعظيمه وتقديسه فقد قال
الرسول عليه الصلاة والسلام: { قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن، وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع
القرآن } [رواه الطبراني وصححه السيوطي والألباني] (وليس معنى كونها تعدل في الفضل أنها
تجزئ عنه ... فتنبه).

٢٧ - الصدقة الجارية

كالمساعدة في بناء مسجد أو بئر أو مدرسة أو ملجأ أو تربية الأطفال على الدين الصحيح والآداب الإسلامية وتربية الولد على الصلاح، فإنه إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ومنها ولد صالح يدعو له، وكذلك نشر وطباعة الكتب ونسخ الأشرطة المفيدة وتوزيعها ودعم ذلك ما ديا عن طريق مكاتب الدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات والمؤسسات الخيرية وغيرها.

٢٨ - صلاة أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها

عن أم حبيبة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله: { من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها حرمه الله على النار } [رواه أبو داود والترمذي]. وتكون الأربع القبليّة بتسليمتين بعد أذان الظهر وقبل الإقامة، وتكون الأربع البعدية بتسليمتين.

٢٩ - قيام الليل وإفشاء السلام وإطعام الطعام

عن عبد الله بن سلام أن النبي قال: { أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام } [رواه الترمذي].

٣٠ - الترديد خلف المؤذن

قال عليه الصلاة والسلام: من قال حين يسمع النداء: { اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة } [رواه البخاري].

٣١ - الإكثار من تلاوة وحفظ القرآن الكريم

قال الله تعالى: إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سيرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور [فاطر: ٢٩]، وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله: { من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول: ألم حرف ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف } [رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح].

٣٢ - الإكثار من ذكر الله تعالى

قال الرسول: { ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ } قالوا: بلى قال: { ذكر الله تعالى } [رواه الترمذي].

يسارع فى هوى نبيه

في صورة النجم يقول القرآن عن محمد " وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى " النجم ٣.

ولكننا نراه في سورة الأحزاب ينزل الآية ٥٠ التي تقول: "... وإمرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين". الأحزاب ٥٠. لقد أثارت هذه الآية السيدة عائشة زوجة محمد واستنكرت أن تهب امرأة نفسها الى رجل. ولها في هذا حديث جاء في صحيح البخاري.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله (ص) وأقول: أتهب المرأة نفسها! فما أنزل الله عز وجل " ترحى من تشاء وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك" قلت: ما أرى ربك إلا يسارع في هواك. (صحيح البخاري ٤٤١٤).

لعل زواج محمد من زينب بنت جحش من أوضح الدلائل على أنه كان ينطق عن الهوى. وهذه هي القصة كما جئت في السيرة الحلبية: بعد تعريف موجز زينب بنت جحش وزيد بن حارثة.

زنب بنت جحش:

بعد أم سلمة تزوج محمد زينب بنت جحش وكان إسمها برة فغيره وسماها زينب. وكانت زينب قبله عند مولاه زيد بن حارثة فلما طلقها زيد تزوجها محمد، ولهذا الطلاق والزواج قصة يشير إليه القرآن بقوله: " فلما قضى زيد منها وترا زوجها" (١).

من هو زيد بن حارثة:

زيد بن حارثة بن شرحبيل الكلبى كان غلاما لخديجة أهدته الى محمد لما تزوجها وكان اشتراه لها من سوق عكاظ حكيم ابن أخيها حزام مما سباه في الجاهلية. وكان زيد إذ ذاك ابن ثمان سنين فأستوهبه منها محمد فوهبته له فأعتقه وذلك قبل النبوه (٢).

كيف تزوج زيد زينب:

في السيرة الحلبية عن مقاتل أن زيدا بن حارثة لما أراد أن يتزوج زينب جاء الى النبي وقال: يا رسول الله، أخطب علي، فقال: من؟ زينب بنت جحش، فقال له: لا أراها تفعل، إنها أكرم من لك نسبا، فقال له: يا رسول الله، إذا كلمتها أنت وقلت زيد أكرم الناس عليّ فعلت، قال: إنها امرأة لسنا.

وجاء في رواية: أن النبي هو الذي جاء إليها ليخطبها لمولاه زيد بن حارثة، فقالت: لست بناكحتك، قال: بل انكحيه، قالت: يا رسول الله، أوامر (أي أشاور) نفسي فإني خير منه حسبا، فأنزل

الله تعالى: {وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن تكون لهم الخيرة من أمرهم} (٣). فقالت عند ذلك: رضيت (٤).

والظاهر أن محمدا لم يكن في أول الأمر له نفس بزینب ولا به ميل إليها، وإن كان في أول الأمر قد رد زيدا عن خطبتها، فإنما رده لعلمه بأنها لا ترضى بزید زوجها لأنها من سادات قریش وزید من الموالي، ولو كان به ميل إليها لتزوجها قبل أن يتزوجها زید، ولو أنه حين كلم زید في خطبتها قال له اتركها لي لما توقف زید عن تركها، ولكن يظهر أنه بعدما تزوجها زید وقع حبها في نفسه وصار يميل إليها، وسبب ذلك يعرف في الحديث الآتي: قال الحلبي في سيرته: ثم بعد ذلك جاء (أي النبي) بيت زید يطلبه فلم يجده، فتقدمت إليه زينب فأعرض عنها، فقالت له: ليس هو ههنا يا رسول الله، فدخل، فأبى أن يدخل. وأعجبت رسول الله لأن الريح رفعت الستر فنظر إليها من غير قصد فوقع في نفسه، فرجع وهو يقول: سبحان مصرف القلوب، وفي رواية: سبحان مقلب القلوب. وسمعت زینب يقول ذلك، فلما جاء زید أخبرته الخبر فجاء الى النبي وقال: يا رسول الله، لعل زينب أعجبتك فأفارقها لك، فقال له رسول الله: امسك عليك زوجك (٥).

إن قول محمد عند رؤية زينب: "سبحان مقلب القلوب يدل على أمرين: أحدهما أنه لم يكن قبل ذلك به ميل إليها، وإلا لم يكن لقوله ذلك معنى، فإن تقليب القلوب معناه تحويلها من حال الى حال.

والثاني أنه حين رآها علق وكان قلبه خاليا منها فصار ممتلئا بها. ولا شك أن محمدا قد وجد نفسه من هذا الحب أمام مشكلة من المشاكل، فإن المرأة التي علق بحبها ذات زوج، وإن زوجها يمت إليه بنسبة، وإن هذه النسبة وإن كانت مجعولة غير حقيقية إلا أنها ذات شأن بحيث تجب مراعاتها واحترامها، فكيف العمل؟

هذا ما كان محمد يفتكر به بعد رؤيته زينب وحبها لها، ولكن هذه المشكلة قد هون عليه حلها زید من جهة وزینب من جهة أخرى، وجبريل من جهة ثالثة. وإذا عرفنا كيف طلق زید زينب عرفنا كيف انحلت هذه المشكلة.

كيف طلق زید زينب:

إن زينب لما سمعت من محمد قوله: "سبحان مقلب القلوب" علمت أنه قد علق بها، ولا شك أنها فرحت فرحا شديدا لأنها لم تتزوج زيدا إلا على كره، ولم ترض به بعلا إلا امتثالا لأمر رسول الله، إذ قال لهم لما امتنعوا عن نكاحه: "قد رضيتكم لكم وأقضي أن تنكحوه"، ويدل على فرحها بذلك أنها لما جاء زید أخبرته بذلك، لأنها تعلم علم اليقين أن زيدا إذا علم بأنها وقعت في نفس محمد وأنها أعجبت، لا يسعه إلا أن ينزل عنها له، إذ هو لا يستطيع بعد ذلك أن يضاجعها وهو يعلم أن رسول الله قد علق بها وصار يرغب فيها ويميل إليها. وقد أصابت زينب الهدف بإخبارها زيدا، فإنه بعدما أخبرته لم يلبث أن "جاء النبي فقال له: يا رسول الله، لعل زينب أعجبتك فأفارقها لك" (٦)، كما في السيرة الحلبية. ولقد كان زید صادقا في قوله هذا، لأن محمدا سيده المقدس المطاع فلا بد أن ينزل له عن زوجته إذا أرادها وأحبها، فإن مثل ذلك غير مستنكر في عرفهم، حتى إن المهاجرين لما قدموا المدينة أوهم الأنصار فأنزلوهم في منازلهم وواسوهم بأموالهم، وكان بعضهم إذا كانت له زوجات متعددة ينزل عن إحداهن لنزله من المهاجرين فيتزوجها، كما ذكره الزمخشري في الكشاف (٧)، لأن المرأة لم تكن في عرف ذلك الزمان إلا متاعا من الأمتعة أو شيئا يقرب من ذلك.

ولم تكتف زينب بإخبار زید بالقضية بل أخذت بعد ذلك تبدي النفور من زید وتؤذيه، وتستطيل عليه بلسانها، على أنه هو أيضا بعدما علم أن سيده أحبها صار لا يستطيع غشيانها،

فارتفعت من بينهما المودة وانقطع حبل الزوجية بحكم الضرورة فلم يبق لزيد إلا أن يفارقها. وكذلك فعل كما ذكره الحلبي في سيرته إذ قال: فما استطاع زيد إليها سبيلا بعد ذلك اليوم أي فلم يستطع أن يعشاها من حين رآها رسول الله إلى أن طلقها. قال: فعن زينب قالت: لما وقعت في قلب النبي لم يستطعني زيد وما امتنعت منه، وصرف الله قلبه عني، ثم قال: وجاء زيد إلى النبي يوماً فقال له: يا رسول الله، إن زينب اشتد عليّ لسانها وأنا أريد أن أطلقها، فقال له: اتق الله وامسك عليك زوجك، فقال: استطالت عليّ، فقال له: طلقها فطلقها (٨).

فأسباب الطلاق كما ترى هيأتها زينب، ووافقها عليها زيد بحكم الضرورة، وإذ قد تم الطلاق فقد انحل جانب عظيم من المشكلة ولم يبق إلا جانبها الآخر وهو أن يتزوجها محمد، وليس حلها من هذا الجانب يصعب على جبريل.

كيف تزوج محمد زينب:

من الغريب أن محمداً لما أرسل إلى زينب يخاطبها بعدما طلقها زيد لم يرسل إليها إلا زيدا كأنه لم يجد من يرسله غيره. ولعله أراد بذلك أن يختبر طاعته وانقياده لحكمه وإلا فإنه يصعب على زيد ويتقل على روحه أن يخاطب لسيده امرأة كانت بالأمس زوجته.

قال الحلبي في سيرته: فلما انقضت عدتها أرسل إليها زيدا، فقال له: اذهب فاذكرها عليّ، فانطلق. قال: فلما رأيتها عظمت في صدري، فقلت: يا زينب أبشري، أرسلني رسول الله يذكرك، قالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي، وفي لفظ قال زيد: فذهبت إليها، فجعلت ظهري إلى الباب فقلت: يا زينب، بعث رسول الله يذكرك، فقالت: ما كنت لأحدث شيئاً حتى أوامر ربي (٩).

وكان زينب بقولها: "حتى أوامر ربي": كانت تعلم أن ربها الله سيزوجها من السماء، لأن جبريل بعد ذلك نزل بالوحي على محمد يخبره بأن الله قد زوج زينب، ولم تبق حاجة إلى خطبتها. قال الحلبي في سيرته: فبينما رسول الله جالس يتحدث مع عائشة، إذ نزل عليه الوحي بأن الله زوج زينب، فسرى عنه وهو يبتسم وهو يقول: من يذهب إلى زينب فيبشرها أن الله زوجها من السماء.

إن محمداً قال هذا، ولكنه لم يبق مجالاً للذهاب إلى زينب ولا لتبشيرها، إذ قام فذهب بنفسه إليها. قال الحلبي: وجاء إليها رسول الله فدخل عليها بغير إذن، قالت: دخل عليّ وأنا مكشوفة الشعر، فقلت: يا رسول الله، بلا خطبة ولا إشهاد، فقال: الله المزوج وجبريل الشاهد (١٠).

لا ريب أن محمداً لما كان جالسا يتحدث مع عائشة، كان في باطنه مشغولاً بالفكر في قضية زينب وزواجها، وكانت نفسه متجهة بشرائرها نحو هذه القضية، وبينما هو كذلك أخذته نوبته العصبية المعلومة، فرأى وهو في تلك الحالة رئيه يقول: إن الله زوجك زينب، وما هذا القول إلا حديث نفسه لا قول رئيه، إلا أنه يترأى له أنه يصدر إليه من قبل رئيه جبريل، وقد علمت مما سبق أنه لم يكن في أول الأمر يسمى رئيه بجبريل.

وقد أنزل محمد في قصيته مع زيد وزينب قرآناً باح فيه بالحقيقة، فذكر أنه كان فيها يظهر غير ما يخفي، وأنه كان يخشى في ذلك قالة الناس من اليهود والمنافقين أن يقولوا انظروا كيف تزوج محمد امرأة ابنه، لأن زيدا كان يقال له زيد بن محمد، فأما قالت الناس فأبطلها بالآيات التي مر ذكرها: { ما كان محمد أباً أحد من رجالكم... }، { ادعوهم لأبائهم... } (١١)، وأما الآيات التي باح فيها بالحقيقة عن نفسه فقوله: { وإذا تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه } (١٢) وهو زيد بن حارثة، فإن الله أنعم عليه بأن هداه للإسلام، والنبي أنعم عليه بالعتق، { أمسك عليك زوجك } (١٣) يعني زينب بنت جحش، { واتق الله } فلا تطلقها، { وتخفي ما في نفسك ما الله مبديه } أي أنت تخفي في نفسك محبة زينب وتود في زيد أ يطلقها فتتزوجها، والله مبدي ذلك ومظهره بتزويجك إياها { وتخشى

الناس} أن يقولوا تزوج محمد امرأة ابنه، { والله أحق أن تخشاه}، فإن زيدا ليس بابنك وإنما هو دعيك ومولاك، {فلما قضى زيد منها وطرا}، الوطر الحاجة، فإذا بلغ الرجل من الشيء حاجته قيل قضى منه وطره، أي فلما لم يبق لزيد فيها حاجة وطلقها، {زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين من حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا} (١٤)، أي إنما زوجناك زينب تشريعا لإزالة حرمة التبني لكي يعلم الناس أنه لا حرج على المتبني أن يتزوج امرأة المتبني بعد طلاقه إياها.

وهذا التعليل في غاية الغرابة لأنه إذا كان المقصود من ذلك كله هو بيان الحكم الشرعي في هذه المسألة، فبدلا من أن ينزل جبريل بهذه الآيات كلها، يمكنه بيان ذلك الحكم بالقول، فيأتي بآية واحدة يقول فيها أيها الناس لا حرج عليكم أن تتزوجوا أزواج أدعيائكم إذا قضوا منهن وطرا وطلقوهن، فإن التشريع كما يكون بالفعل يكون بالقول أيضا، ولكنه لم يفعل كذلك، بل زوجه امرأة زيد لكي يعلم الناس أن ذلك مباح لا حرج فيه، ونحن إذا تأملنا في حقيقة الأمر حق التأمل، رأينا أن إباحة أزواج الأدعياء إنما كانت لإجل أن يتزوج محمد امرأة زيد، والقرآن يقول بعكس ذلك. لا أدري أكانت زينب لما تزوجها زيد قبل النبي بكرا أم ثيبا، فإنهم لم يذكروا شيئا في ذلك، وقد ذكروا أنها لما تزوجها النبي بعدما طلقها زيد كانت بنت خمس وثلاثين سنة، والظاهر أنها لم تبق عند زيد كثيرا، وأن زيدا لما تزوجها كانت في هذه السن أو ما يقاربها. ومن البعيد أن تبقى غير متزوجة وهي قد بلغت هذا المبلغ من العمر، وكانت زينب تفتخر على نساء النبي وتقول عن النبي: إن الله قد أنكحني إياه من فوق سبع سموات. وعاشت بعد النبي بضع سنين فكانت أول نسائه لحوقا به، فإنها توفيت بالمدينة سنة عشرين من الهجرة ولها من العمر ثلاث وخمسون سنة، أما تاريخ تزويج النبي إياها فكما قال الحلبي في سيرته: إنه تزوجها هلال ذي القعدة سنة أربع على الصحيح (١٥).

الهوامش

- (١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٧.
- (٢) الكشاف - تفسير الآية: ٢٧ من سورة الأحزاب.
- (٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.
- (٤) السيرة الحلبية، ٣/٣٢٠.
- (٥) السيرة الحلبية، ٢/٢١٤، حياة محمد، لمحمد حسين هيكل ٣١٥ - ٣٢٦.
- (٦) السيرة الحلبية، ٢/٢١٤.
- (٧) تفسير الآيات: ٣٦-٣٨، من سورة الأحزاب.
- (٨) السيرة الحلبية، ٢/٢١٤.
- (٩) السيرة الحلبية، ٢/٢١٤.
- (١٠) السيرة الحلبية، ٢/٢١٤.
- (١١) سورة الأحزاب: ٤ - ٥.
- (١٢) سورة الأحزاب: ٣٧.
- (١٣) سورة الأحزاب: ٣٧.
- (١٤) سورة الأحزاب: ٣٧.
- (١٥) السيرة الحلبية، ٢/٢١٥ و ٣/٣٢١.

اللمم

" الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللحم إن ربك واسع المغفرة" (النجم ٣٢). ماذا قال مُفسروا الإسلام في اللحم؟ قال الطبري شيخ المفسرين في تفسيره:

في تأويل قوله تعالى: " ذلك مبلغهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى" يقول تعالى ذكره هذا الذي يقوله هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة في الملائكة من تسمتهم إياها تسمية الأنثى مبلغهم من العلم يقول ليس لهم علم إلا هذا الكفر بالله والشرك به على وجه الظن بغير يقين علم، وكان ابن زيد يقول في ذلك ما حدثني يونس قال أخبرنا بان وهب قال قال ابن زيد في قوله فأعرض عن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم قال يقول ليس لهم علم إلا الذي هم فيه من الكفر برسول الله ومكابدهم لما جاء من عند الله قال وهؤلاء أهل الشرك وقوله إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى يقول تعالى ذكره إن ربك يا محمد هو أعلم بمن جار عن طريقه في سابق علمه فلا يؤمن وذلك الطريق هو الإسلام وهو أعلم بمن اهتدى يقول وربك أعلم بمن أصاب طريقه فسلكه في سابق علمه وذلك الطريق أيضا الإسلام.

القول في تأويل قوله تعالى " والله ما في السموات وما في الأرض ليجزي الذين أسأؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى * الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم"، يقول تعالى ذكره والله ملك ما في السموات وما في الأرض من شيء وهو يضل من يشاء وهو أعلم بهم ليجزي الذين أسأؤا بما عملوا يقول ليجزي الذين عصوه من خلقه فأسأؤا بمعصيتهم إياه فيثيبهم بها النار ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى يقول وليجزي الذين أطاعوه فأحسنوا بطاعتهم إياه في الدنيا بالحسنى وهي الجنة فيثيبهم بها وقيل عني بذلك أهل الشرك والإيمان ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني عبد الله بن عياش قال قال زيد بن أسلم في قول الله ليجزي الذين أسأؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا المؤمنون وقوله الذين يجتنبون كبائر الإثم يقول الذين يبتعدون عن كبائر الإثم التي نهى الله عنها وحرمها عليهم فلا يقربونها وذلك الشرك بالله وما قد بيناه في قوله أن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وقوله والفواحش وهي الزنا وما أشبهه مما أوجب الله فيه حدا وقوله إلا اللمم.

اختلف أهل التأويل في معنى إلا في هذا الموضع فقال بعضهم هي بمعنى الاستثناء المنقطع وقالوا معنى الكلام الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم الذي ألموا به من الإثم والفواحش في الجاهلية قبل الإسلام فإن الله قد عفا لهم عنه فلا يؤاخذهم به ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس قوله " الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم" قال المشركون إنما كانوا بالأمس يعملون معنا فأنزل الله عز وجل اللمم ما كان منهم في الجاهلية قال واللمم الذي ألموا به من تلك الكبائر والفواحش في الجاهلية قبل الإسلام وغفر لهم حين أسلموا حدثني يعقوب قال ثنا ابن علي عن ابن عياش عن ابن عون عن محمد قال سأل رجل زيد بن ثابت عن هذه الآية " الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم" قال إلا اللمم قال كبائر

الشرك والفواحش الزنا تركوا ذلك حين دخلوا في الإسلام فغفر الله لهم ما كانوا ألموا به وأصابوا من ذلك قبل الإسلام.

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب ممن يؤيدون في هذا الموضوع إلى هذه الوجهة الذي ذكرته عن ابن عباس يقول في تأويل ذلك لم يؤذن لهم في اللطم وليس هو من الفواحش ولا من كبائر الإثم وقد يستثنى الشيء من الشيء وليس منه على ضمير قد كف عنه فمجازه إلا أن يلم بشيء ليس من الفواحش ولا من الكبائر قال الشاعر: وبلدة ليس بها أنيس إلا اليعاقير وإلا العيس.

واليعاقير الطباء والعيس الإبل وليس من الناس فكأنه قال ليس به أنيس غير أن به طباء وإبلا وقال بعضهم اليعفور من الطباء الأحمر والأبيض، وقال بنحو هذا القول جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك، حدثني محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الأعمش عن أبي الضحى أن ابن مسعود قال زنا العينين النظر وزنا الشفتين التقبيل وزنا اليدين البطح وزنا الرجلين المشي ويصدق ذلك الفرج ويكذبه فإن تقدم بفرجه كان زانيا وإلا فهو اللطم، حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر قال وأخبرنا ابن طاموس عن أبيه عن ابن عباس قال ما رأيت شيئا أشبه بالطم مما قال أبو هريرة عن النبي، أن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدركه ذلك لا محالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان المنطق والنفس تتمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك أو يكذبه، حدثني أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مسلم عن مسروق في قوله إلا اللطم قال إن تقدم كان زنا وإن تأخر كان لطمًا، حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ثنا ابن علي قال ثنا منصور بن عبد الرحمن قال سألت الشعبي عن قول الله "الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللطم" قال القبلة والغمزة والنظرة والمباشرة إذا مس الختان الختان فقد وجب الغسل وهو الزنا. وقال آخرون بل ذلك استثناء صحيح ومعنى الكلام الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللطم" إلا أن يلم بها ثم يتوب ذكر من قال ذلك، حدثني سليمان بن عبد الجبار قال ثنا أبو عاصم قال أخبرنا زكريا بن إسحاق عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس "الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللطم" قال هو الرجل يلم بالفاحشة ثم يتوب قال وقال رسول الله: إن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك ما ألما؟ حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن مجاهد أنه قال في هذه الآية إلا اللطم قال الذي يلم بالذنب ثم يدعه وقال الشاعر: إن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك ما ألما؟

حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا يونس عن الحسن عن أبي هريرة أراه رفعه في "الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللطم" قال اللمة من الزنا ثم يتوب ولا يعود واللمة من السرقة ثم يتوب ولا يعود واللمة من شرب الخمر ثم يتوب ولا يعود قال فتلك الإمام، حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبي عدي عن عوف عن الحسن في قول الله "الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللطم" قال اللمة من الزنا أو السرقة أو شرب الخمر ثم لا يعود. حدثني يعقوب قال ثنا ابن علي عن أبي رجاء عن الحسن في قوله "الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللطم" قال قد كان أصحاب النبي يقولون هذا الرجل يصيب اللمة من الزنا واللمة من شرب الخمر فيخفيها فيتوب منها حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس إلا اللطم يلم بها في حين قلت الزنا قال الزنا ثم يتوب حدثنا ابن عبد الأعلى قال ابن ثور قال قال معمر كان الحسن يقول في اللطم تكون اللمة من الرجل بالفاحشة ثم يتوب حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن إسماعيل عن أب صالح قال الزنا ثم يتوب. قال ثنا مهران عن أبي جعفر عن قتادة عن الحسن إلا اللطم قال أن يقع الوقعة ثم ينتهي حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن عطاء عن ابن عباس قال اللطم الذي تلم المرة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال أخبرني يحيى بن أيوب عن المثنى بن الصباح عن عمرو بن شعيب أن عبد الله بن عمرو بن العاص قال

اللمم ما دون الشرك حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا مرة عن عبد الله بن القاسم في قوله إلا اللمم قال اللمة يلم بها من الذنوب حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد في قوله إلا اللمم قال الرجل يلم بالذنب ثم ينزع عنه قال وكان أهل الجاهلية يطوفون بالبيت وهم يقولون: إن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك ما ألما؟ وقال آخرون ممن وجه معنى إلا إلى الإستثناء المنقطع اللمم هو دون حد الدنيا وحد الآخرة قد تجاوز الله عنه ذكر من قال ذلك. حدثنا ابن حميد قال ثنا مهرا عن سفيان عن جابر عن عطاء عن ابن الزبير إلا اللمم قال ما بين الحدين حد الدنيا وعذاب الآخرة. حدثنا ابن المثني قال ثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن الحكم عن ابن عباس أنه قال اللمم ما دون الحدين حد الدنيا والآخرة. حدثنا ابن المثني قال ثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن الحكم وقاتدة عن ابن عباس بمثله إلا أنه قال حد الدنيا وحد الآخرة. حدثني يعقوب قال ثنا ابن علي قال أخبرنا شعبة عن الحكم بن عتيبة قال قال ابن عباس اللمم ما دون الحدين حد الدنيا وحد الآخرة. حدثني محمد بن سعد قال ثنا أبي قال ثنا عمي قال ثنا أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله "الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم" قال كل شيء بين الحدين حد الدنيا وحد الآخرة تكفوه الصلوات وهو اللمم وهو دون كل موجب فأما حد الدنيا فكل حد فرض الله عقوبته في الدنيا وأما حد الآخرة فكل شيء ختمه الله بالنار وآخر عقوبته إلى الآخرة. حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى قال ثنا الحسين عن يزيد عن عكرمة في قوله إلا اللمم يقول ما بين الحدين كل ذنب ليس فيه حد في الدنيا ولا عذاب في الآخرة فهو اللمم. حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله "الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم" واللمم ما كان بين الحدين لم يبلغ حد الدنيا ولا حد الآخرة موجبة قد أوجب الله لأهلها النار أو فاحشة يقام عليه الحد في الدنيا. وحدثنا ابن حميد قال ثنا مهرا عن أبي جعفر عن قتادة قال قال بعضهم اللمم ما بين الحدين حد الدنيا وحد الآخرة. حدثنا أبو كريب ويعقوب قال ثنا إسماعيل بن إبراهيم قال ثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن ابن عباس قال اللمم ما بين الحدين حد الدنيا والآخرة. حدثنا ابن حميد قال ثنا مهرا عن سفيان قال قال الضحك إلا اللمم قال كل شيء بين حد الدنيا والآخرة فهو اللمم يغفره الله.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال إلا بمعنى الإستثناء المنقطع ووجه معنى الكلام إلى "الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم" بما دون كبائر الإثم ودون الفواحش الموجبة للحدود في الدنيا والعذاب في الآخرة فإن ذلك عندي نظير قوله جل ثناؤه "إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مداخل كريما" فوعد جل ثناؤه باجتنب الكبائر العفو عما دونها من السيئات وهو اللمم الذي قال النبي (ص) العينان تزنيان واليدان تزنيان والرجلان تزنيان ويصدق ذلك الفرج ويكذبه وذلك أنه لا حد فيما دون ولوج الفرج في الفرج يجب وذلك هو العفو من الله في الدنيا عن عقوبة العبد عليه والله جل ثناؤه وأكرم من أن يعود فيما قد عفا عنه كما روي عن النبي (ص) واللمم في كلام العرب المقاربة للشيء ذكر الفراء أنه سمع العرب تقول ضربة ما لمم القتل يريدون ضربا مقاربا للقتل قال وسمعت من آخر ألم يفعل في معنى كاد يفعل.

القول في تأويل في قوله تعالى "إن ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى"، يقول تعالى ذكره لنبيه محمد (ص) إن ربك يا محمد واسع المغفرة عفو للمذنبين الذين لم تبلغ ذنوبهم الفواحش وكبائر الإثم وإنما أعلم جل ثناؤه بقوله هذا عباده أنه يغفر لهم بما وصفنا من الذنوب لمن أجتنب كبائر الإثم والفواحش. كما حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله "إن ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض" يقول تعالى ذكره ربكم أعلم بالموءمن منكم من الكافر والمحسن منكم من المسيء والمطيع من العاص حين ابتدءكم من فأحدثكم منها بخلق أبيكم آدم منها وحين أنتم أجنة في بطون أمهاتكم يقول وحين أنتم حمل لم تولدوا (!) منكم وأنفسكم بعدما صرتم رجالا ونساء وبنحو

الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك. حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض قال منحو قوله وهو أعلم بالمهتدين. وحدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله إذ أنشأكم من الأرض قال حين خلق آدم من الأرض ثم خلقكم من آدم وقرأوا وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم وقد بينا فيما مضى قبل معنى الجنين ولم قيل له جنين بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع وقوله فلا تزكوا أنفسكم يقول جل ثناؤه فلا تشهدوا لأنفسكم بأنها زكية بريئة من الذنوب والمعاصي. كما حدثنا ابن حميد قال ثنا مهرا عن سفيان قال سمعت زيد بن أسلم يقول فلا تزكوا أنفسكم يقول فلا تبرؤوا وقوله هو أعلم بمن أتقى يقول جل ثناؤه ربك يا محمد أعلم بمن خاف عقوبة الله فاجتنب معاصيه من عباده.

القول في تأويل قوله تعالى " أفرايت الذي تولى * وأعطى قليلا وأكدى * أعنده علم الغيب فهو يرى * أم لم ينبأ بما في صحف موسى * وإبراهيم الذي وفى * ألا تزرر وازرة وزر أخرى * وأن ليس للإنسان إلا ما سعى " يقول تعالى ذكره أفرايت يا محمد الذي أدبر عن الإيمان بالله وأعرض عنه وعن دينه وأعطى صاحبه قليلا من ماله ثم منعه فلم يعطه فبخل عليه وذكر أن هذه الآية أنزلت في الوليد بن المغيرة من أجل أنه عاتبه بعض المشركين وكان قد اتبع رسول الله (ص) على دينه فضمن له الذي عاتبه إن هو أعطاه شيئا من ماله ورجع إلى شركه أن يتحمل عنه عذاب الآخرة ففعل فأعطى الذي عاتبه على ذلك بعد ما كان ضمن له ثم بخل عليه ومنه تمام.

وجاء في تفسير الحافظ بن كثير: (الجزء الثامن، الطبعة الأولى، المنار سنة ١٣٤٧، ص ١١٤-١١٦)

يخبر تعالى أنه مالك السموات والأرض وإنه الغني عما سواه الحاكم في خلقه بالعدل وخلق الخلق بالحق " ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى"، أي يجازي كلا بعمله إن خيرا فخير، وإن شرا فشرا. ثم فسر المحسنين بأنهم الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش، أي لا يتعاطون المحرمات الكبائر وإن وقع منهم بعض الصغائر فإنه يغفر لهم ويستتر عليهم، كما قال في الآية الأخرى " إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما"، وقال ههنا " الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم"، وهذا استثناء منقطع لأن اللمم من صغائر الذنوب ومحقرات الأعمال. قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق معمر بن أرطاه عن ابن طابوس عن أبيه عن ابن عباس قال ما رأيت شيئا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي قال (إن الله تعالى كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العين النظر، وزنا اللسان النطق، والنفس تمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه) أخرجاه في الصحيحين من حديث عبد الرزاق به.

وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الأعلى أخبرنا ابن ثور حدثنا معمر عن الأعمش عن أبي الضحى أن ابن مسعود قال: زنا العينين النظر، وزنا الشفتين التقيل، وزنا اليدين البطش، وزنا الرجلين المشي ويصدق ذلك الفرغ أو يكذبه، فإن تقدم بفرجه كان زانيا وإلا فهو اللمم، وكذا قال مسروق والشعبي وقال عبد الرحمن بن نافع الذي يقال له ابن لبابة الطائفي قال سألت أبا هريرة عن قول الله "إلا اللمم" قال القبلة والغمزة والنظرة والمباشرة فإذا مس الختان الختان، فقد وجب الغسل وهو الزنا وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس إلا اللمم إلا ما سلف وكذا قال زيد بن أسلم. وقال ابن جرير حدثنا ابن المثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن منصور عن مجاهد أنه قال في هذه الآية "إلا اللمم" قال الذي يلم بالذنب ثم يدعه قال الشاعر: إن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك ما ألما؟ وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن منصور عن مجاهد في قوله تعالى: "إلا اللمم" قال الرجل يلم بالذنب ثم ينتزع عنه قال وكان أهل الجاهلية يطوفون بالبيت وهم يقولون: إن

تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك ما ألما؟ وقد رواه ابن جرير وغيره مرفوعا قال ابن جرير حدثني سليمان بن عبد الجبار حدثنا أبو عاصم حدثنا زكريا بن إسحاق عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس "الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم" قال هو الرجل يلم بالفاحشة ثم يتوب وقال قال رسول الله: إن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك ما ألما؟ وهكذا رواه الترمذي عن أحمد بن عثمان أي عثمان البصري عن أبي عاصم النبيل ثم قال هذا حديث صحيح حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث زكريا بن إسحاق وكذا قال البزار لا نعلمه يروي متصلا إلا من هذا الوجه وساقه ابن أبي حاتم والبخاري من حديث أبي عاصم النبيل وإنما ذكره البخاري في تفسير سورة تنزيل وفي صحته مرفوعا نظر. ثم قال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد حدثنا يزيد بن زريع حدثنا يونس عن الحسن عن أبي هريرة أراه رفعه في "الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم" قال اللمة من الزنا ثم يتوب ولا يعود، واللمة من السرقة ثم يتوب ولا يعود، واللمة من شرب الخمر ثم يتوب ولا يعود قال فذلك الإمام. وحدثنا ابن بشار حدثنا ابن أبي عدي عن عوف عن الحسن في قوله تعالى "الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم" قال اللمم من الزنا أو السرقة أو شرب الخمر ثم لا يعود.

وحدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن في قول "الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم" قال كان أصحاب رسول الله (ص) يقولون هو الرجل يصيب اللمة من الزنا واللمة من شرب الخمر فيجتنبها ويتوب منها. وقال ابن جرير عن عطاء عن ابن عباس "إلا اللمم" يلم بها في الحين قلت الزنا؟ قال الزنا ثم يتوب وقال ابن جرير أيضا حدثنا أبو كريب حدثنا ابن عيينة عن عمرو بن عطاء عن ابن عباس قال اللمم الذي يلم المرة، وقال السدي قال أبو صالح سألت عن اللمم فقلت هو الرجل يصيب الذنب ثم يتوب وأخبرت بذلك ابن عباس فقال لقد أعانك عليها ملك كريم، حكاه البخاري.

وروى ابن جرير من طريق المثني بن الصباح وهو ضعيف عن عمرو بن شعيب أن عبد الله بن عمرو قال اللمم ما دون الشرك، وقال سفيان الثوري عن جابر الجعفي عن عطاء عن ابن الزبير "إلا اللمم" قال ما بين الحدين حد الزنا وعذاب الآخرة، وكذا رواه شعبة عن الحكم عن ابن عباس مثله سواء، وقال العوفي عن ابن عباس في قوله "إلا اللمم" كل شيء بين الحدين حد الدنيا وحد الآخرة تكفره الصلوات فهو اللمم وهو دون كل موجب فأما حد الدنيا فكل حد فرض الله عقوبته في الدنيا، وأما حد الآخرة فكل شيء ختمه الله بالنار وآخر عقوبته إلى الآخرة، وكذا قال عكرمة وقتادة والضحاك.

وقوله تعالى "إن ربك واسع المغفرة" أي رحمته وسعت كل شيء ومغفرته تسع الذنوب كلها لمن تاب كقوله تعالى "قل يا عبادي الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم". وقوله تعالى "هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض" أي هو بصير بكم عليم بأحوالكم وأفعالكم وأقوالكم التي ستصدر عنكم وتقع منكم حين أنشأ أبائكم آدم من الأرض واستخرج ذريته من صلبه أمثال الذر ثم قسمهم فريقين للجنة وفريقا للسعير وكذا قوله "وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم"، قد كتب الملك الذي يوكل به رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد؟.

وجاء في تفسير البخاري الذي طبع أسفل تاريخ ابن كثير:

"ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى" وحدوا ربهم بالحسنى بالجنة وإنما يقدر على مجازاة المحسن والمؤسى إذا كان كبير الملك ولذلك قال "ولله ما في السموات وما في الأرض" ثم وصفهم فقال "الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم" اختلفوا في معنى الآية فقال قوم هذا استثناء صحيح واللمم من الكبائر والفواحش، ومعنى الآية إلا أن يلم بالفاحشة مرة ثم يتوب ويقع الواقعة ثم ينتهي

وهو قول أبي هريرة ومجاهد والحسن ورواية عطاء عن ابن عباس، قال عبد الله بن عمرو بن العاص اللمم ما دون الشرك وقال السدي قال أبو صالح سئلت عن قول الله تعالى إلا اللمم فقلت هو الرجل يلم بالذنب ثم لا يعاوده فذكرت ذلك لإبن عباس فقال لقد أعانك عليها ملك كريم وروينا عن عطاء عن ابن عباس في قوله إلا اللمم قال قال رسول الله (ص): إن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك ما ألما؟ وأصل اللمم والإلمام ما يعمله الإنسان الحين بعد الحين ولا يكون له عادة ولا إقامة عليه، وقال آخرون هذا استثناء منقطع مُجازه لكن اللمم ولم يجعلوا اللمم من الكبائر والفواحش ثم اختلفوا في معناه فقال بعضهم هو ما سلف في الجاهلية فلا يؤاخذهم الله به وذلك إن المشركين قالوا للمسلمين أنهم كانوا بالأمس يعملون معنا فأنزل الله هذه الآية وهذا قول زيد بن ثابت وزيد بن أسلم وقال بعضهم هو صغار الذنوب كالنظرة والغمزة والقبلة وما كان دون الزنا وهذا قول ابن مسعود وأبي هريرة ومسروق والشعبي ورواية طاوس عن ابن عباس.

أخبرنا عبد الواحد المليحي ثنا أحمد بن عبد الله النعيمي ثنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا محمود بن غيلان أنا عبد الرازق ثنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس قال ما رأيت أشبه اللمم مما قاله أبو هريرة عن النبي (ص) (إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تتمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك ويكذبه) ورواه سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي وزاد (والعينان زناهما النظر والأذنان زناهما الإستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطي). وقال الكلبي اللمم على وجهين كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا في الدنيا ولا عذابا في الآخرة فذلك الذي تكفره الصلوات ما لم يبلغ الكبائر والفواحش والوجه الآخر هو الذنب العظيم يلم به المسلم المرة بعد المرة فيتوب منه، وقال سعيد بن المسيب هو ما لم علي القلب أي خطر، وقال الحسين بن الفضل اللمم النظرة من غير تعمد فهو مغفور فإن أعاد النظرة فليس بلمم وهو ذنب " إن ربك واسع المغفرة" قال ابن عباس لمن فعل ذلك وتاب تم الكلام ههنا ثم قال " هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض" أي خلق أبابكم آدم من التراب" جمع جنين.

وقال القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي): في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن): طبع دار الكتب المصرية ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م.

لام العاقبة، أي والله ما في السموات وما في الأرض؛ أي وعاقبة أمر الخلق أن يكون فيهم مسيء ومحسن: فالللمسيء السوءى وللمحسن الحسنى وهي الجنة. قوله تعالى: "الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم"، فيه ثلاث مسائل:

الأولى: "الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش"، هذا نعت؛ أي هم لا يرتكبون كبائر الإثم وهو الشرك؛ لأنه أكبر الآثام، وقرأ الأعمش ويحيى بن وثاب وحمزة والكسائي (كبير) على التوحيد وفسره ابن عباس بالشرك، والفواحش "الزنى، وقال مقاتل: "كبائر الإثم" كل ذنب ختم بالنار " والفواحش " كل ذنب فيه الحد، وقد مضى في "النساء" (راجع ج ٥، ص ١٥٨، فما بعدها، طبعة أولى أو ثانية)، القول في هذا، ثم استثنى استثناء منقطعا

وهي: المسئلة الثانية: فقال: "إلا اللمم" وهي الصغائر التي لا يسلم من الوقوع فيها إلا من عصمه الله وحفظه، وقد اختلف في معناها، فقال أبو هريرة وابن عباس والشعبي: "اللمم" كل ما دون الزنى، وذكر مقاتل بن سليمان: أن هذه الآية نزلت في رجل كان يسمى نبهان التمار، كان له حانوت يبيع فيه تمرا، فجاءته امرأة تشتري منه تمرا فقال لها: إن داخل الدكان ما هو خير من هذا، فلما دخلت راودها فأبى وانصرفت فندم نبهان، فأتى رسول الله فقال: يا رسول الله! ما من شيء يصنعه الرجل إلا وقد فعلته إلا الجماع، فقال: "لعل زوجها غاز" فنزلت هذه الآية، وقد مضى في

آخر " هود" وكذلك قال ابن مسعود وابو سعيد الخدري وحذيفة ومسروق: إن اللمم ما دون الوطء من القبلة والغمزة والنظرة والمضاجعة، وروي مسروق عن عبد الله بن مسعود قال: زنى العينين النظر، وزن الديدن البطش، وزنى الرجلين المشي، وإنما يصدق ذلك أو يكذبه الفرج، فإن تقدم كان زنى وإن تأخر كان لمما، وفي صحيح البخاري ومسلم عن ابن عباس قال: ما رأيت شيئا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة أن النبي (ص) قال: (إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنى أدرك ذلك لا محالة فزنى العينين النظر وزنى اللسان النطق والنفس تتمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك أو يكذبه)، والمعنى إن الفاحشة العظيمة والزنى التام الموجب للحد في الدنيا والعقوبة في الآخرة هو في الفرج وغيره له حظ من الإثم - والله أعلم - وفي رواية أبي صالح عن النبي (ص) قال (كتب على ابن آدم نصيبه من الزنى مدرك ذلك لا محالة فالعينان زناهما النظر والأذنان زناهما الإستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زنا الخطأ والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج ويكذبه) (أخرجه مسلم)، وقد ذكر الثعلبي حديث طاوس عن ابن عباس فذكر فيه الأذن واليد والرجل، وزاد فيه بعد العينين واللسان، وزنى الشفتين القبلة، فهذا قول، وقال ابن عباس أيضا: هو الرجل يلم بذنوب ثم يتوب، قال: ألم تسمع النبي (ص) كان يقول: إن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك ما ألما؟ رواه عمرو بن دينار عن عطاء بن عباس (روى هذا الحديث الترمذي بهذا الإسناد وقال: هذا حديث حسن غريب، والبيت لأمية بن الصلت قاله عند احتضاره) قال النحاس: هذا أصح ما قيل فيه وأجلها إسنادا، وروى شعبة عن منصور عن مجاهد عن ابن عباس في قول الله عز وجل " إلا اللمم"، قال: هو أن يلم العبد بالذنوب ثم لا يعاوده، قال الشاعر: إن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك ما ألما؟ وكذا قال مجاهد والحسن: هو الذي يأتي الذنب ثم لا يعاوده، ونحوه عن الزهري، قال: اللمم أن يزني ثم يتوب فلا يعود، وأن يسرق أو يشرب ثم يتوب فلا يعود، ودليل هذا التأويل قوله تعالى: "والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم" (آل عمران: ١٣٥)، ثم قال: " أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم"، كما قال عقيب اللمم: "إن ربك واسع المغفرة"، فعلى هذا التأويل يكون " إلا اللمم" استثناء متصل، قال عبد الله بن عمرو بن العاص: اللمم ما دون الشرك، وقيل: اللمم الذنب بين الحدين وهو ما لم يأت عليه حد في الدنيا، ولا توعده عليه بعذاب في الآخرة تكفروه الصلوات الخمس، قاله ابن زيد وعكرمة والضحاك وقتادة، ورواه العوفي والحكم بن عيينة عن ابن عباس، وقال الكلبي: اللمم على وجهين كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا في الدنيا ولا عذابا في الآخرة، فذلك الذي تكفروه الصلوات الخمس ما لم يبلغ الكبائر والفواحش، والوجه الآخر هو الذنب العظيم يلم به الإنسان المرة بعد المرة فيتوب منه، وعن ابن عباس أيضا وأبي هريرة وزيد بن ثابت: هو ما سلف في الجاهلية فلا يؤاخذهم به، وذلك أن المشركين قالوا للمسلمين: إنما كنتم بالأمس تعملون معنا فنزلت، وقاله زيد بن أسلم و (ابنه) (في الأصل: وأبوه، وما أثبتناه يوافق ما في تفسير أبي حيان والطبري)، وهو كقوله تعالى: " وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف"، وقيل: اللمم هو أن يأتي بذنوب لم يكن له بعادة، قاله نفطويه، قال: والعرب تقول ما يأتينا إلا لماما، أي في الحين بعد الحين، قال: ولا يكون أن يلم ولا يفعل؛ لأن العرب لا تقول ألم بنا إلا إذا فعل الإنسان لا إذا هم ولم يفعله، وفي الصحاح: وألم الرجل من اللمم وهو صغائر الذنوب، ويقال: هو مقاربة المعصية من غير موقعة، وأنشد غير الجوهرية: بزئب ألمم قبل أن يرحل الركب وقل إن تملينا فما ملك القلب.

أي أقرب، وقال عطاء بن أبي رباح: اللمم عادة النفس الحين بعد الحين، وقال سعيد بن المسيب: هو ما ألم على القلب، أي خطر، وقال محمد بن الحنفية: كل ما هممت به من خير أو شر فهم لمم، ودليل هذا التأويل قوله عليه الصلاة والسلام: (إن للشيطان لمة وللملك لمة) الحديث، وقد مضى في " البقرة" (راجع ج ٣، ص ٣٢٩، طبعة أولى أو ثانية)، عند قوله تعالى " الشيطان يعدكم الفقر"،

وقال أبو إسحق الزجاج: أصل اللمم والإمام ما يعمله الإنسان المرة بعد المرة ولا يتعمق فيه، ولا يقيم عليه، يقال: ألممت به إذا زرتَه وانصرفت عنه، ويقال: ما فعلته إلا لمما وإماما، أي الحين بعد الحين وإنما زيارتك إمام، ومنه إمام الخيال، قال الأعشى:

ألم خيال من قتيلة بعد ما وهي حبلى من حبلىنا فتصرما

وقيل: إلا بمعنى الواد وأنكر هذا الفراء، وقال: المعنى إلا المتقارب من صغار الذنوب، وقيل: اللمم النظرة التي تكون فجأة. قلت: هذا فيه بعد إذ هو معفو عنه ابتداء غير مؤاخذ به؛ لأنه يقع من غير قصد واختيار وقد مضى في "النور" (راجع ج ١٢، ص ٢٢٧، طبعة أولى أو ثانية)، بيانه، واللمم أيضا طرف من الجنون ورجل ملموم أي به لمم، ويقال أيضا: أصابت فلانا لمة من الجن وهي المس والشيء القليل، قال الشاعر:

فإذا وذلك يا كبيشة لم يكن إلا كلمة حالم بخيال

(ابن مقبل، والواو في ذلك زائدة كقول أبي كبير الهذلي: فإذا ذلك ليس إلا حينه وإذا مضى شيء كأن لم يفعل)

الثالثة: قوله تعالى "إن ربك واسع المغفرة" لمن تاب من ذنبه واستغفر، قاله ابن عباس، وقال أبو ميسرة بن شرحبيل وكان من أفاضل أصحاب ابن مسعود رأيت في المنام كأنني أدخلت الجنة فإذا قباب مضروبة، فقلت: لمن هذه؟ فقالوا: لذي الكلاع وحوشب، وكانا ممن قتل بعضهم بعضا، فقلت: وكيف ذلك؟ فقالوا: إنهما لقيا الله فوجدها واسع المغفرة، فقال أبو خالد: بلغني أن ذا الكلاع أعتق اثني عشر ألف بنت. قوله تعالى: "هو أعلم بكم" من أنفسكم "إذ أنشأكم من الأرض" يعني أباكم آدم من الطين وخرج اللفظ على الجمع، قال الترمذي أبو عبد الله: وليس هو كذلك عندنا، بل وقع الإنشاء على التربة التي رفعت من الأرض، وكنا جميعا في تلك التربة وفي تلك الطينة، ثم خرجت من الطينة المياه إلى الأصلاب مع ذرة النفوس على اختلاف هيئتها، ثم استخرجها من صلبها على اختلاف الهيئات، منهم كالدردنيل، وبعضهم أنور من بعض، وبعضهم أسود كالحمة، وبعضهم أشد سوادا من بعض، فكان الإنشاء واقعا علينا وعليه.

وقال سيد قطب (في ظلال القرآن): الجزء السابع والعشرون - الطبعة الأولى:

"الذين يجتنون كباثر الإثم والفواحش إلا اللمم". وكباثر الإثم هي كبار لمعاصي، والفواحش كل ما عظم من الذنب وفحش، واللمم تختلف الأقوال فيه، فإين كثير يقول: وهذا استثناء منقطع لأن اللمم من صغار الذنوب ومحقرات الأعمال، قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس قال: ما رأيت شيئا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة، عن النبي (ص) قال: "إن الله تعالى إذا كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان النطق، والنفس تمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك ويكذبه" (أخرجه في الصحيحين من حديث عبد الرزاق). وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن ثور، حدثنا معمر، عن الأعمش، عن أبي الضحى أن ابن مسعود قال: زنا العين النظر، وزنا الشفتين التقبيل، وزنا اليدين البطش، وزنا الرجلين المشي، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه، فإن تقدم بفرجه كان زانيا، وإلا فهو اللمم، وكذا قال مسروق الشعبي. وقال عبد الرحمن بن نافع الذي يقال له ابن لبابة الطائفي، قال: سألت أبا هريرة عن قول الله: "إلا اللمم"، قال: القبله والنظرة والغمزة والمباشرة، فإذا مس الختان الختان فقد وجب الغسل، وهو الزنا. فهذه أقوال متقاربة في تعريف "اللمم".

وهناك أقوال أخرى: قال علي بن طلحة عن ابن عباس: "إلا اللمم" إلا ما سلف، وكذا قال زيد ابن أسلم. وقال ابن جرير: حدثنا ابن المنثى، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة عن منصور، عن

مجاهد، أنه قال في هذه الآية: "إلا اللمم"، قال: الذي يلم بالذنب ثم يدعه. وقال ابن جرير: حدثني سليمان بن عبد الجبار، حدثنا أبو عاصم، حدثنا زكريا عن ابن إسحاق، عن عمرو بن دينار، عن عطاء، عن ابن عباس: "الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم" .. قال: هو الرجل يلم بالفاحشة ثم يتوب، وقال: قال رسول الله (ص): إن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك ما ألما؟ وهكذا رواه الترمذي عن أحمد بن عثمان البصري عن أبي عاصم النبيل، ثم قال: هذه حديث صحيح حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث زكريا بن إسحاق، وكذا قال البزار لا نعلمه يروي متصلا إلا من هذا الوجه. وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد، حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا يونس، عن الحسن، عن أبي هريرة (أراه رفعه) في "الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم"، قال: اللمة من الزنا ثم يتوب ولا يعود، واللمة من السرقة ثم يتوب ولا يعود، واللمة من شرب الخمر ثم يتوب ولا يعود، قال: فذلك الإلمام، وروي مثل هذا موقوفا على الحسن. فهذه طائفة أخرى من الأقوال تحدد معنى اللمم تحديدا غير الأول.

والذي نراه أن هذا القول الأخير أكثر تناسبا مع قوله تعالى بعد ذلك: "إن ربك واسع المغفرة"، فذكر سعة المغفرة يناسب أن يكون اللمم هو الإتيان بتلك الكبائر والفواحش، ثم التوبة، ويكون الإستثناء غير منقطع، ويكون الذين أحسنوا هم الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش، إلا أن يقعوا في شيء منها ثم يعودوا سريعا ولا يلجوا ولا يصروا، كما قال الله: "والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون" (آل عمران: ١٣٣-١٣٦)، وسمى هؤلاء "المتقين" ووعدهم مغفرة وجنة عرضها السماوات والأرض، فهذا هو الأقرب إلى رحمة الله ومغفرته الواسعة. وختم الآية بأن هذا الجزاء بالسوءى وبالحسنى مستند إلى علم الله بحقيقة دخائل الناس في أطوارهم كلها. "هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم".

فهو العلم السابق على ظاهر أعمالهم، العلم المتعلق بحقيقتهم الثابتة، التي لا يعلمونها هم، ولا يعرفها إلا الذي خلقهم، علم كان وهو ينشئ أصلهم من الأرض وهم بعد في عالم الغيب، وكان وهم أجنة في بطون أمهاتهم لم يروا النور بعد، علم بالحقيقة قبل الظاهر، وبالطبيعة قبل العمل.

هذا ما قاله المفسرون في تفسير اللمم.
(عن موقع شفاف)

المعارض

أولاً: معنى المعارض:

المعارض والمعارض باثبات الياء أو بحذفها جمع معارض من التعريض بالقول، قال الجوهري: هو خلاف التصريح، وهو التورية بالشيء عن الشيء. وقال الراغب: التعريض كلام له وجهان في صدق وكذب، أو باطن وظاهر. قلت: والأولى أن يقال: كلام له وجهان يطلق أحدهما والمراد لازمه.

وقال العيني: التعريض نوع من الكناية ضد التصريح.

وقال الراغب: هو كلام له ظاهر وباطن فقصده قائله الباطن ويظهر إرادة الظاهر.

وقال صاحب المصباح المنير (ص ٤٠٣) (عَرَضْتُ) له و (عَرَضْتُ) به (تَعْرِضًا) إذا قلت قولاً وأنت تعنيه (فالتعريض) خلاف التصريح من القول كما إذا سألت رجلاً هل رأيت فلاناً وقد رأيته ويكره أن يكذب فيقول إن فلاناً ليرى فيجعل كلامه (مَعْرَاضًا) فراراً من الكذب وهذا معنى (المَعَارِضُ) في الكلام. قال الشاعر:

وقد أشكلت فيها عليّ المقاصدُ	إذا عرضت لي في زماني حاجة
وقلت: إلهي إنني لك قاصدُ	وقفت بباب الله وقفة ضارع
يقول فتاة: سيدي اليوم راقدُ	ولست تراني واقفاً عند باب مَنْ

والتعريض: هو أن تستخدم المعارض في الكلام مثل التورية في البلاغة، والمقصود بالمعارض: أن ينجو المرء من الكذب، كما جاء في الحديث، فعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال قال رسول الله (ص): - إن في المَعَارِضِ لَمُنْدُوحَةً عن الكذب. أخرجه: ابن أبي شيبة (٢٨٢/٥، رقم ٢٦٠٩٦)، وهناد في الزهد (٦٣٦/٢، رقم ١٣٧٨)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٩٧/١، رقم ٨٥٧)، الألباني (ضعيف) انظر حديث رقم: ١٩٠٤ في ضعيف الجامع. قال الشيخ علي رضا. وهذا سند جيد رجاله ثقات رجاله ثقات معروفون غير الفضل بن سهل الأعرج؛ قال ابن أبي حاتم (٦٣/٢/٣): سئل أبي عنه فقال: صدوق.

ومعنى مندوحة: أي سَعَة وفُسْحَة، يقال: نَدَحْتُ الشيء، إذا وسعته. وإنك لفي نُدْحَةٍ ومندوحةٍ من كذا: أي سعةٍ، يعني أن في التعريض بالقول من الإلتساع ما يُغني الرجل عن تعمُد الكذب.

ثانياً: حكم المعارض:

وحكم هذه المعارض فقد قال ابن مفلح في: (الأداب الشرعية ص ١٤ وما بعدها): فصل في إباحة المعارض ومحلها: وتباح المعارض وقال ابن الجوزي: عند الحاجة وقد تقدم في الرعاية وغيرها وتكره من غير حاجة والمراد بعدم تحريم المعارض لغير الظالم. وقيل: يحرم وقيل: له التعريض في الكلام دون اليمين بلا حاجة.

وقال أبو طالب إنه سأل أبا عبد الله عن الرجل يعارض في كلام الرجل يسألني عن الشيء أكرهه أن أخبره به؟ قال إذا لم يكن يمين فلا بأس، في المعارض مندوحة عن الكذب. وهو إذا احتج إلى الخطاب، فأما الإبتداء بذلك فهو أشد. وذكره القاضي عياض إجماعاً واحتج في المعنى بأن مهنا كان

عند أحمد وهو و المروزي و جماعة فجاء رجل يطلب المروزي ولم يرد المروزي أن يكلمه فوضع مهنا أسبعه في كفه وقال ليس المروزي ههنا يريد ليس المروزي في كفه فلم ينكره أبو عبد الله.

قال المروزي: جاء مهنا الى أبي عبد الله ومعه أحاديث فقال: يا أبا عبد الله معي هذه وأريد أن أخرج قال متى تريد تخرج؟ قال الساعة أخرج، فحدثه بها وخرج، فلما كان من الغد أو بعد ذلك جاء الى أبي عبد الله فقال له أبو عبد الله: أليس قلت الساعة أخرج؟ قال: قلت أخرج من بغداد؟ إنما قلت لك أخرج من زقافك، قال في المغني: وقد ذكره بنحو هذا المعنى فلم ينكره أبو عبد الله انتهى كلامه. وهذان النسان لا يمين فيهما. واحتج في المغني بالأخبار المشهورة في ذلك وبأثار وليس في شيء منها يمين كقوله: لا يدخل الجنة عجز. ولمن استحمله: إنا حاملوك على ولد الناقة وقوله عليه السلام لرجل حر: من يشتري العبد، وغير ذلك قال: وفي تفسير ابن الجوزي في قوله تعالى: قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألهم إن كانوا ينطقون...، المعاريض لا تنم خصوصا إذا احتيج إليها ثم ذكر خبر عمران بن حصين ولم يعزه قال: وقال عمر بن الخطاب: ما يسرني أن لي بما أعلم من معاريض القول مثل أهلي ومالي. وم هنا فإن المعاريض تجوز على شرطين: ألا تحلف عليه، وألا يكون ذرية لإقتطاع حق أحد.

ثالثا: الأدلة على جوازها كثيرة منها:

- رد إبراهيم عليه السلام على قومه حينما سألوه عن حطم أصنامهم وكسر أوثانهم، قال تعالى: قالوا أنت فعلت هذا بالهتنا يا إبراهيم (٦٢) قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألهم إن كانوا ينطقون (٦٣) سورة الأنبياء.

- ما حدث في قصة إبراهيم عليه السلام وزوجته سارة، فعن أبي هريرة؛ أن رسول الله (ص) قال: لم يكذب إبراهيم النبي عليه السلام، قط إلا ثلاث كذبات، ثنتين في ذات الله قوله: إني سقيم، وقوله: بل فعله كبيرهم هذا، وواحدة في شأن سارة، فإنه قديم أرض جبار ومعه سارة، وكانت أحسن الناس، فقال لها: إن هذا الجبار، إن يعلم أنك امرأتي، يغلبني عليك، فإن سألك فأخبريه أنك أختي، فإنك أختب في الإسلام، فإني لا أعلم في الأرض مسلما غير وغيرك، فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار، أنه فقال له: لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي لها أن تكون إلا لك، فأرسل إليها فأتى بها، فقام إبراهيم عليه السلام الى الصلاة، فلما دخلت عليه لم يتمالك أن بسط يده إليها، فقبضت يده قبضة شديدة، فقال لها: ادعي الله أن يطلق يدي ولا أضرك، ففعلت، فعاد، فقبضت أشد من القبضة الأولى، فقال لها مثل ذلك، ففعلت، فعاد، فقبضت أشد من القبضتين الأولىين، فقال: ادعي الله أن يطلق يدي، فلك الله أن لا أضرك، ففعلت، وأطلقت يده، ودعا الذي جاء بها فقال له: إنك إنما أتيتني بشيطان، ولم تأتني بإنسان فأخرجها من أرضي، وأعطها هاجر، قال: فأقبلت تمشي، فلما رآها إبراهيم عليه السلام انصرف، فقال لها: مهيم؛ قالت: خيرا، كف الله يد الفاجر، وأخذ خادما. قال أبو هريرة: فتلك أمكم يا بني ماء السماء. أخرجه البخاري ١٧١/٤ (٣٣٥٧) و / مسلم ٩٨/٧.

- وجواز الكذب في أمور محددة منها المعاريض في الحرب والإصلاح بين المتخاصمين وبين الرجل وزوجته ليرضيها أو ترضيه، فعن أسماء بنت يزيد؛ قالت: قال رسول الله: لا يحل الكذب إلا في ثلاث: يحدث الرجل امرأته ليرضيها، والكذب في الحرب، والكذب ليصلح بين الناس. أخرجه أحمد ٤٥٤: ٦ و / الترمذي / ١٩٣٩ حديث رقم: ٧٧٢٣ في صحيح الجامع.

- وقصة طلحة الأنصاري مع زوجته أم سليم، فعن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، أنه سمع أنس بن مالك يقول: اشتكى ابن لأبي طلحة، قال: فمات وأبو طلحة خارج، فلما رأت امرأته أنه قد مات، هيأت شيئا ونحته في جانب البيت، فلما جاء أبو طلحة قال: كيف الغلام؟ قالت: قد هدأت نفسه، وأرجو أن يكون قد استراح، وظن أبو طلحة أنها صادقة، قال: فبات، فلما أصبح اغتسل، فلما أراد أن يخرج، أعلمته أنه قد مات، فصلى مع النبي (ص)، ثم أخبر النبي بما كان منهما، فقال رسول الله (ص): لعل الله

أن يُبارك لكما في ليلتكما قال سفيان: فقال رجلٌ من الأنصار: فرأيتُ لهما تسعة أولاد، كلهم قد قرأ القرآن. أخرجه البخاري (١٣٠١).

- وما حدث في طريق الهجرة حينما كان الصديق أبو بكر رضي الله عنه في صحبة النبي (ص) وكان شيخا يعرف، ونبي الله (ص) شاب لا يعرف، فيلقى الرجل أبا بكر فيقول: من هذا الرجل الذي بين يديك؟ فيقول: هذا الرجل يهديني الطريق، فيحسب الحاسب أنه يعني به الطريق، وإنما يعني سبيل الخير. انظر: ابن عبد البر: عيون الأثر ٢٤٦/١، والمباركفوري: الرحيق المختوم ١٣٢.

- وكذا في غزوة بدر قام صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر يستكشف أحوال جيش المشركين، وبينما هما يتجولان في تلك المنطقة لقيا شيخا من العرب، فسأله رسول الله (ص) عن جيش قريش، وعن محمد وأصحابه، وما بلغه (ص) من أخبارهم: قال الشيخ لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما. فقال له رسول الله (ص) < إذا أخبرتنا أخبرناك > فقال: أو ذلك بذاك؟ قال: < نعم >، فقال الشيخ: فإنه بلغني أن محمدا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا، للمكان الذي به جيش المسلمين، وبلغني أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا، للمكان الذي فيه جيش المشركين فعلا، ثم قال الشيخ: لقد أخبرتكما عما أردتما، فأخبراني ممن أنتما؟ فقال رسول الله (ص): < نحن من ماء > ثم انصرف النبي (ص) وأبو بكر عن الشيخ، وبقي هذا الشيخ يقول: ما من ماء؟ أمن ماء العراق؟ انظر: زاد المعاد (١٧٢/٣) (٥) انظر: سيرة ابن هشام (٢٢٨/٢).

- وما روي عن أبي رزين قال قيل للعباس أيكما أكبر أنت أو النبي قال هو أكبر مني وأنا ولدت قبله. الصالح: سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد ٩٣/١١.

- وما جاء من أقوال ومواقف من حياة السلف رضوان الله عليهم، قال الأعمش: كان إبراهيم النخعي إذا أتاه أحد يكره الخروج إليه جلس في مسجد بيته وقال لجاريته: قولي له هو والله في المسجد.

ومنه قول ابن جببر للحجاج حين أراد قتله وقال له ما تقول؟ قال: قاسط عادل. فقال الحاضرون ما أحسن ما قال - ظنوا أنه وصفه بالقسط والعدل - قال الحجاج يا جهلة سماتي مشركا ظالما ثم تلى (وأما القاسطون) الآية (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون).

وكان بعض السلف يقول لخادمه إذا جاء من يطلبه ولا غرض له يلقيه قل له ما هو هون يريد به الهاون الذي يدق فيه.

وكان الشعبي يقول لخادمه دور بأصبعك دارة في الحائط وقل له ما هو في الدار.

وكان الجارحي يقول إذا أنكر ما قاله: الله يعلم ما قلته - بتوهم النفي بحرف ما ويريد أنه موصول.

وكان إبراهيم النخعي قد خط في بيته مسجدا فإذا جاء من لا يريد دخوله عليه قال للجارية قولي هو في المسجد.

وقال عقبة بن المغيرة: كنا نأتي إبراهيم وهو خائف من الحجاج. فكنا إذا خرجنا من عنده يقول: إن سئلتكم عني وحُلفتُم، فاحلفوا بالله ما تدرُونَ أين أنا ولا لنا به علم، ولا في أي موضع هو .. وأعنوا أنكم لا تدرُونَ أي موضع أنا فيه قائم أو قاعد، وقد صدقتُم.

وكان حماد إذا جاءه من لا يريد الاجتماع به، وضع يده على ضرسه، ثم قال: ضرسي، ضرسي.

ووجه الرشيد إلى رجل شريك رجلا ليحضره، فسأله شريك أن ينصرف ويدافع بحضوره، ففعل، فحبسه الرشيد، ثم أرسل أرسل إليه رسولا آخر، فأحضره، وسأله عن تخلفه لما جاءه رسوله؟ فحلف له

بالأيمان المغلظة أنه ما رأى الرسول في اليوم الذي أرسله فيه، وعني بذلك الرسول الثاني، فصدقه وأمر بإطلاق الرجل.

وأحضر الثوري الى مجلس المهدي، فأراد أن يقوم، فمنع، فحلف بالله أن يعود، فترك نعله وخرج، ثم رجع فلبسها، ولم يعد.. فقال المهدي: ألم يحلف أنه يعود؟ فقالوا: إنه عاد فأخذ نعله.

كما يحكي أن بعض العلماء وقت فتنة خلق القرآن وينسبونها الى الشافعي وأنا استبعدها جدا أن تنسب الى الشافعي عندما دخل علي المأمون، أنتم تعلمون فتنة خلق القرآن بدأت في أواخر عهد المأمون واستفحلت في عهد المعتصم والواثق، وكشف الله المحنة في عهد المتوكل، أرسلوا الى هذا العالم لكي يمتحنوه في إن القرآن مخلوق أم لا؟ فجاء العالم فدخل فسكت، فقال له المأمون: ما تقول فيه أم مخلوق؟ طبعاً ما تقول فيه الدنيا كلها تعلم عن ماذا يتكلم المأمون، ما تقول فيه أم مخلوق؟ قال: إياي تعني؟ قال: نعم، قال مخلوق، وخرج منها لأنه أحني أذنه وانحني في الأرض، إياي تعني أي تكلمني أنا الرجل فهمها هكذا أنت تكلمي أنا قال أنا مخلوق. ومثل الشيعة وأهل السنة يتشاجروا مع بعض من أفضل علي أم أبو بكر؟ فذهبوا الي بن الجوزي وقالوا له: من أفضل أبو بكر أم علي؟ قال: من كانت بنته تحته وسكت فالشيعة قالوا: من كانت ابنته تحته أي بنت النبي تحته كون علي، والسنة قالوا: من كانت ابنته تحته أي عائشة تحت النبي أبو بكر، قال: من كانت ابنته تحته خرج الشيعة يقول هو يقصدنا، وخرج السنة يقولوا هو يقصدنا، فالتعريض والكلام هذا يحتاج الى سرعة بديهية.

فإباحة المعاريض في بعض المواقف دليل على مرونة التشريع الإسلامي، وعلى يسر هذا الدين وسماحته.

عن مقالة للدكتور بدر عبد الحميد هميسة.

التقية

تعريف التقية:

التقية في اللغة: اسم مصدر من الإتقاء، بمعنى استقبل الشيء وفوقاه، يقال: اتقى الرجل الشيء يتقيه، إذا اتخذ ساترا يحفظه من ضرره (١)، قال تعالى: { فوقاهُ اللهُ سيئاتٍ ما مكروا } [غافر: ٤٥] ومن ذلك قول النبي: ((فليتق أحدكم النار ولو بشق تمره)) (٢)، قال ابن منظور: ((التقاء تعني أن الناس يتقي بعضهم بعضا ويظهرون الصلح والإتفاق وباطنهم بخلاف ذلك)) (٣)، والتقية والتقاء كلها بمعنى واحد.

أما في الإصطلاح فالتقية عندما تطلق غالبا فيراد منها وقاية الناس بعضهم من بعض لسبب ما، وأصل هذا جاء من قوله تعالى: { لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة } [آل عمران: ٢٨] وقد عرفها ابن القيم (رحمه الله) فقال: ((التقية أن يقول العبد خلاف ما يعتقده لإتقاء مكروه يقع به لو لم يتكلم بالتقية)) (٤)، وعرفها السرخسي بقوله: ((التقية أن يقي الإنسان نفسه بما يظهره، وإن كان يضمير خلافه)) (٥)، أما الحافظ ابن حجر فقال في تعريفها: ((التقية: الحذر من إظهار ما في النفس من معتقد وغيره)) (٦).

والفرق بين ما تقدم من تعاريف العلماء للتقية أن الإختلاف قد وقع فيها فيما يخص الفعل والقول، إذ ذهب السرخسي الى أن التقية تشمل القول والفعل، في حين اقتصر ابن القيم وابن حجر في تعريفها على القول دون الفعل، وهو ما نجد النفس أميل اليه، لأن العلة من التقية هي المحافظة على النفس أو المال من شر الأعداء، وإذا كان هذا الأمر يحصل غالبا بالقول دون الفعل فهو أليق بحال المسلم، ويدل آية التقية المتقدمة، إذ أشارت الى أن حصول ذلك يمكن أن يكون بالقول غالبا بدليل الآية التي بعدها: { قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدؤهُ يعلمهُ اللهُ } [آل عمران: ٢٩]، قال ابن كثير (رحمه الله) في تفسير هذه الآية الأولى: ((فمن خاف في بعض البلدان والأوقات من شرهم [الكافرين] فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته)) (٧).

العمل بالتقية:

لا شك في مشروعية العمل بالتقية عند أهل السنة والجماعة في حالة الضرورة، إذ الأصل في التقية هو الحضر ولا بد من سبب قوي يبيح للمسلم اللجوء إليها، قال الجصاص: ((وإعطاء التقية إنما هو رخصة من الله تعالى وليس بواجب، بل ترك التقية أفضل، قال أصحابنا فيمن أكره على الكفر فلم يفعل حتى قتل: إنه أفضل ممن أظهر)) (٨) يعني التقية، والأدلة الواردة عن النبي (ص) تدل على هذا، حيث امتنع خبيب بن عدي رضي الله عنه عن التقية، بعد أن أخذه المشركون وحبسوه وخيروه بين سب النبي (ص) ومدح آلهتهم وبين القتل، فاختر الشهادته، وأخذ بالعزيمة دون الرخصة، فروي أن النبي (ص) قال في حقه: ((هو أفضل الشهداء))، وفي رواية: ((هو رفيقي في الجنة)) (٩).

واعترض على هذه القصة بقصة عمار بن ياسر رضي الله عنه الذي قال: ((أخذه المشركون، فلم يتركوه حتى سب رسول الله (ص) وذكر آلهتهم بخير، ثم تركوه، فلما أتى رسول الله (ص) قال

عليه الصلاة والسلام ما وراءك؟ قال: شر، تركوني حتى نلت منك، وذكرت آلهتهم بخير، فقال عليه الصلاة والسلام: فكيف تجد قلبك؟ قال: أجده مطمئنا بالإيمان قال: عليه الصلاة والسلام إن عادوا، فعد (((١٠)، وفيه نزل قوله تعالى: { إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان }، وقد أخذ بعض العلماء هذا القول على ظاهره وإطلاقه، ولا يمكن حمله على ذلك لوجوه عديدة، الأول أن هذا كان في بداية أمر الإسلام حين كان المسلمون قلة مستضعفون في الأرض يخافون أن يتخطفهم الناس كما وصفهم تبارك وتعالى، وإليه أشار كل من معاذ بن جبل ومجاهد عندما قالوا: ((كانت التقية في جده الإسلام قبل قوة المسلمين فأما اليوم فقد أعز الله الإسلام أن يتقوا من عدوهم)) (١١).

والأمر الثاني كما قرر ذلك السرخسي فقال: ((وبعض العلماء رحمهم الله يحملون قوله عليه الصلاة والسلام: ((فإن عادوا فعد)) على ظاهره يعني إن عادوا إلى الإكراه، فعد إلى ما كان منك من النيل مني، وذكر آلهتهم بخير، وهو غلط، فإنه لا يظن برسول الله (ص) أنه يأمر أحدا بالتكلم لكلمة الشرك، ولكن مراده عليه الصلاة والسلام، فإن عادوا إلى الإكراه، فعد إلى طمأنينة القلب بالإيمان؛ وهذا لأن التكلم وإن كان يرخص له فيه، فالإمتناع منه أفضل)) (١٢)، وهذا التقرير منه رحمه الله حسن، فهو يدل دلالة قطعية على أن الأصل كان إطمئنان القلب، وليس التكلم، إذ الإمتناع حينها أفضل، والركون إلى سلامة العقيدة والصبر على الإيذاء من شيم المؤمنين، ومن هنا حدد ابن عباس رضي الله عنه التقية في مثل هذه المواطن: ((هو أن يتكلم بلسانه وقلبه مطمئن بالإيمان ولا يقتل ولا يأتي مائماً)) (١٣)، والسبب في التأكيد على سلامة القلب ضروري هنا لئلا يقع المسلم في مخاطر الكفر والشرك.

والشاهد على ذلك قصة عبيد الله بن أبي سرح فإنه كان يكتب الوحي لرسول الله (ص) فلما أخذ المشركون، وأكرهوه على ما أكرهوا عليه عمار بن ياسر رضي الله عنه أجابهم إلى ذلك معتقداً، فأكرموه، وكان معهم إلى أن فتح رسول الله (ص) مكة، وقد كان من بين الذين أهدر رسول الله (ص) دمهم يوم الفتح، فجاء به عثمان إلى رسول الله (ص) فسأله أن يبايعه، قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: ((إن عبد الله بن سعد بن أبي السرح اختبأ عند عثمان بن عفان، فلما دعا رسول الله (ص) الناس إلى البيعة جاء به حتى أوقفه على النبي قال: يا رسول الله بايع عبد الله قال: فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثاً كل ذلك يأتيه فبايعه بعد ثلاث ثم أقبل على أصحابه، فقال: أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رأيته كففت يدي عن بيعته فيقله؟! فقالوا: وما يدرينا يا رسول الله ما في نفسك هلا أومأت إلينا بعينك؟ قال: إنه لا ينبغي لنبي أن يكون له خائنة أعين)) (١٤)، ويروى عن أبي عبيدة في سبب نزول قوله تعالى: { من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم } [النحل: ١٠٦] قال: (من كفر بعد إيمانه) عمار بن ياسر رضي الله عنه، وقوله تعال: { ولكن من شرح بالكفر صدرا } عبد الله بن أبي سرح (١٥)، ومن المستبعد برأينا أن تصح هذه الرواية؛ لأن الآية مكية وقصة ابن أبي سرح مدنية.

والدليل الآخر على أفضلية العزيمة على الرخصة في حالة التقية ما روي عن الحسن: ((أن مسيلمة الكذاب أخذ رجلين من أصحاب النبي (ص) فقال لأحدهما: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم قال: أتشهد أني رسول الله؟ قال: نعم فخلاه، ثم دعا بالآخر وقال: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم قال: أتشهد أني رسول الله؟ قال: إني أصم، قالها ثلاثاً؛ فضرب عنقه، فبلغ ذلك رسول الله (ص) فقال: أما هذا المقتول فمضى على صدقه وبقينه، وأخذ بفضلته فهنيئاً له، وأما الآخر فقبل رخصة الله فلا تبعه عليه)) (١٦). ففي هذه القصة - إن صحت - مدح النبي (ص) الرجل الأول، وشهد له بالصدق واليقين، وهذه فضيلة له في حين لم يعب على الآخر أخذه بالتقية، ومن المناسب الإشارة هنا إلى أن هذه الحوادث التي وردت لبعض الصحابة وقعت بين يدي أهل الكفر والشرك، وليس بين المسلمين، أو عند غلبة الدين، فحينئذ لا بد من إظهار كلمة الحق، والصدع بها كما ثبت

من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه (ص): ((سئل أي الجهاد أفضل؟ قال: كلمة حق عند سلطان جائر)) (١٧)، وقصة الإمام أحمد بن حنبل مشهورة في إثارة العزيمة على أن يأخذ برخصة التقية، رغم سطوة السلطان.

حكم التقية:

تقدمت الأدلة في جواز العمل بالتقية عند الضرورة، وأنها رخصة أقرها الإسلام على من وقع في فتنة في دينه أو ماله أو نفسه، وقد اختلف العلماء في شروط جوازها والعمل بها، لأن مقاصد الشريعة جاءت من أجل حماية النفس وصيانتها، وقد لا تحصل هذه الحماية إلا باللجوء الى التقية، قال تعالى: { ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيمًا } [النساء: ٢٩] ولكن الحق الذي ذهب إليه جمهور العلماء هو أن يثبت المسلم على ما هو عليه من الحق بظاهره، كما هو عليه بباطنه (١٨).

وكما هو معلوم فإن الثبات أفضل وأعظم أجرا من الأخذ برخصة التقية، فقد وردت في القرآن الكريم قصة (أصحاب الأخدود) حيث أمر الملك الكافر لمن آمن منهم أن يفتن بنار عظيمة سجرت في أخدود وقال: ((من لم يرجع عن دينه فأحمله فيها، ففعلوا، حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها ففأعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أمة اصبري فإنك على الحق)) (١٩)، قال القرطبي في معرض تعليقه على هذا الرواية: ((إن الصبر على البلاء لمن قويت نفسه وصلب دينه أولى ... ولقد إمتحن كثير من أصحاب النبي (ص) بالقتل والصلب والتعذيب الشديد فصبروا، ولم يلتفتوا الى شيء من ذلك)) ثم أستشهد بحديث أبي سعيد وقصة خبيب بن عدي رضي الله عنه (٢٠)، ولا يخفى على مسلم ثناء الله تعالى على هذه الأمة التي أقيت في النار لإيمانها ولم يرد لها ذلك العذاب عن هذا الإيمان.

وحكى الله تعالى موقفا مشابها مع أحد الطغاة، وهم سحرة فرعون الذين قالوا له بعد إيمانهم برب العالمين، وإنذار فرعون لهم بالعذاب العظيم: { قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض هذه الحياة الدنيا }، [طه: ٧٢] قال ابن كثير: ((أي لن نختارك على ما حصل لنا من الهدى واليقين والذي فطرنا وخالقنا الذي أنشأنا من العدم المبتدي خلقنا من الطين فهو المستحق للعبادة والخضوع لا أنت، فاقض ما أنت قاض أي اسفعل ما شئت وما وصلت إليه يدك إنما يقضي هذه الحياة الدنيا، أي إنما لك تسلط في هذه الدار وهي دار الزوال ونحن قدرغبنا في دار القرار)) (٢١)، والآيات في هذا الباب كثيرة معلومة.

أما ما جاء في السنة فقد تقدمت بعض الأدلة على جواز التقية منها حادثة عمار بن ياسر، وفعل الأسيرين عند مسيلمة الكذاب، وكيف مدح النبي المسلم الذي ثبت فقتل: ((مضى على صدقه ويقينه وأخذ بفضيلته فهنيئا له))، وهذا يدل على التفضيل، والأمر نفسه ذهب إليه السرخسي في احتجاجه بقصة ثبات خبيب بن عدي على دينه وإيمانه فقال: ((فبهذا يتبين أن الإمتناع أفضل)) (٢٢).

ويبدو أن مذهب البخاري (رحمه الله) كان في إثبات الثبات على الأخذ بالتقية، فقد بوب لهذه المسألة بابا بعنوان (باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر) أورد فيه حديث خباب ابن الأرت أنه قال: ((شكونا الى رسول الله (ص) وهو متوسد بردة في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال: قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل، فيحفر له في الأرض فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على مفرق رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد من دون لحمه وعظمه، فما يصده ذلك عن دينه ثم قال ليتمن (ص) الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضر موت، لا يخاف إلا الله والذنب على غنمه، ولكنكم تستعجلون)) (٢٣)، ويتضح في هذا فقه الإمام البخاري وعمق فهمه لأحاديث النبي (ص)، لأن في الثبات إعزازا لأمر الله تعالى واستظهارا لدينه

وإِعلاءً لكلمته وإظهاراً لثبات المسلمين وبسالتهم وتثبيت لعامة المسلمين على الحق، قال الحافظ ابن حجر في بيان غرض البخاري من هذا الباب: ((فالقتل والضرب والهوان أسهل عند المؤمن من دخول النار، فيكون أسهل إن أختار الأخذ بالشدّة)) (٢٤).

ومن الأدلة على ذلك أيضا ما روي عن النبي (ص) أنه قال: ((دخل الجنة رجل في ذباب ودخل النار رجل في ذباب قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجاوزه أحد حتى يقرب له شيئا، فقالوا: لأحدهما قرب، قال: ما عندي شيء، قال: قرب ولو ذبابا، فقرب ذبابا، فخلوا سبيله فدخل النار، وقالوا للآخر: قرب، قال: ما كنت لأقرب لأحد شيئا دون الله عز وجل، فضربوا عنقه فدخل الجنة)) (٢٥)، قال الشيخ سليمان بن عبد الله: ((في خذا بيان عظمة الشرك ولو في شيء قليل وأنه يوجب النار ألا ترى الى هذا لما قرب لهذا الصنم أرذل الحيوان وأخسه وهو الذباب كان جزاؤه النار ...))، ثم قال: ((ثم دخل النار بسبب لم يقصده بل فعله تخلصا من شرهم)) (٢٦).

مما تقدم بيان جلي للأدلة الواردة في الكتاب والسنة في تحديد حكم العمل بالتقية، ومع ذلك فقد وضع العلماء أحكاما كثيرة للعمل بها نذكر منها (٢٧):

١- إن التقية إنما تكون إذا كان الرجل في قوم كفار، ويخاف منهم على نفسه وماله فيداريهم باللسان، وذلك بأن لا يظهر العداوة باللسان، بل يجوز أيضا أن يظهر الكلام الموهم للمحبة الموالاة، ولكن بشرط أن مر خلافه، وأن يعرض في كل ما يقول، فإن التقية تأثيرها في الظاهر لا في أحوال القلوب، روى البخاري عن أبي الدرداء قال: ((إنا لنكشر في وجوه أقوم وإن قلوبنا تلعنهم)) (٢٨).

٢- إنه لو أفصح بالإيمان والحق حيث يجوز له التقية كان ذلك أفضل، ودليله ما ذكرناه في قصة خبيب بن عدي وأصحاب الأخدود وسحرة فرعون .

٣- أنها تجوز فيما يتعلق بإظهار الموالاة والمعادة، وقد تجوز أيضا فيما يتعلق بإظهار الدين فأما ما يرجع ضرره الى الغير كالقتل والزنى وغصب الأموال والشهادة بالزور وقذف المحصنات واطلاع الكفار على عورات المسلمين، فذلك غير جائز البتة.

٤- أن ظاهر الآية يدل على أن التقية إنما تحل مع الكفار الغالبيين إى أن مذهب الشافعي (رحمه الله) أن الحالة بين المسلمين إذا شاكلت الحالة بين المسلمين والمشركين حلت التقية محاماة على النفس (٢٩).

٥- التقية جائزة لصون النفس، وهل هي جائزة لصون المال؟ يحتمل أن يحكم فيها بالجواز، لقوله (ص): ((حرمة مال المسلم كحرمة دمه)) (٣٠) ولقوله (ص) ((من قتل دون ماله فهو شهيد)) (٣١) ولأن الحاجة الى المال شديدة القدر من نقصان المال، فكيف لا يجوزها هنا؟ واعترض على ذلك بقصة صهيب الرومي عندما خرج مهاجرا من مكة الى المدينة فاعترضه رهط من قريش فاشتري لنفسه بماله وفيه نزل قوله تعالى: { ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءوفٌ بالعباد } [البقرة: ٢٠٧] (٣٢)، وهذا هو الذي يترجح لدينا.

٦- قال مجاهد: هذا الحكم كان ثابتا في أول الإسلام لأجل ضعف المؤمنين فأما بعد قوة دولة الإسلام فلا، وروي عن الحسن أنه قال: ((التقية جائزة للمؤمنين الى يوم القيامة)) (٣٣)، وهذا القول أولى، لأن دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الإمكان.

شروط العمل بالتقية:

من المفيد هنا أن نذكر الشروط التي وضعها العلماء لجواز العمل بالتقية، إذ لا يصح اللجوء إليها إلا بتوفر الأسباب الموجبة لذلك، وإلا كان فاعلها أثماً لا عذر له في إرتكابها، والعمل بالتقية عند أكثر العلماء يجب أن يكون محظوراً ولا ينساق خلفه بحيث يكون وسيلة لنيل المحرمات، كما قال تعالى: { فمن اضطر غير باغ ولا عادٍ فلا إثم عليه } [البقرة: ١٧٣] وفسر الباغي في هذه الآية الكريمة بمن أكل الحرام وهو يجد الحلال، وفسر العادي بمن أكل من الحرام فوق ما تقتضيه الضرورة (٣٤).

ولذا وضع العلماء شروطاً لا يجب الخروج عنها في حالة اضطرار العبد التي التقية وهي (٣٥):

١- يشترط في جواز التقية أن يكون هناك خوف من هلاك النفس أو العرض، وتردد البعض في المال، فإن لم يكن هناك خوف ولا خطر لم يجز ارتكاب المحرم تقية، قال الجصاص: ((قوله (ص) لعمار: إن عادوا فعد، إنما هو على وجه الإباحة لا على وجه الإيجاب ولا على الذنب وقال أصحابنا الأفضل أن لا يعطى التقية ولا يظهر الكفر حتى يقتل)) (٣٦)، من هنا يتضح ما قدمنا من أن من قال باستحباب التقية عند القتل قد أبعد وإنما الأمر مباح، وهو دون المستحب، وهذا الذي يترجح من قول الجصاص، وهو الراجح من مذهب الحنابلة، قال القاضي أبو يعلى: ((الأفضل أن لا يعطى التقية ولا يظهر الكفر حتى يقتل واحتج بقصة عمار وخبيب بن عدي حيث لم يعط خبيب أهل مكة التقية حتى قتل فكان عند المسلمين أفضل من عمار والله أعلم)) (٣٧).

٢- تدل آية (التقية) أن هذا الأمر مخصوص عند غلبة الكفار، أو غلبة الفسق والفجور والظلم في دار الإسلام، فلا بأس بالتقية لعصم الدماء، قال ابن مسعود: ((ما من كلام أتكلم به بين يدي سلطان يدرأ عني به ما بين سوط الى سوطين إلا كنت متكلماً به)) (٣٨)، وقال السرخسي: ((وإنما أراد بيان جواز التقية في إجراء كلمة الكفر إذا أكرهه المشرك عليها، فالظالم هو الكافر، قال تعالى: { والكافرون هم الظالمون } [البقرة: ٢٥٤] (٣٩).

٣- أن يعلم أنه إن نطق بالكفر ونحوه تقية يترك بعد ذلك، وهذا الإشتراط منقول عن الإمام أحمد، فقد سئل عن الرجل ينسر فيعرض على الكفر ويكره عليه، هل له أن يرتد؟ - أي ظاهراً - فكرهه كراهة شديدة وقال: ((ما يشبه هذا عندي بالذين أنزلت فيهم الآية من أصحاب النبي (ص) أولئك كانوا يرادون على الكلمة ثم يتركون يفعلون ما شاءوا، وهؤلاء يريدونهم على الإقامة على الكفر وترك دينهم)) (٤٠)، وقال ابن مفلح: ((وكأنه يشير الى قصة عمار حين أخذه المشركون وأرادوه على الشرك)) (٤١).

وعلق ابن قدامة على كلام الإمام أحمد بقوله: ((وذلك لأن الذي يكره على كلمة يقولها ثم يخلى لا ضرر فيها، وهذا المقيم بينهم يلتزم بإجابتهم الى الكفر المقام عليه واستحلال المحرمات وترك الفرائض والواجبات وفعل المحظورات والمنكرات وإن كان امرأة تزوجها واستولدوها أولادا كفارا، وكذلك الرجل، وظاهر حالهم المصير الى الكفر الحقيقي والانسلاخ من الإسلام)) (٤٢). ثم احتج بقصة أصحاب الأخدود التي تقدمت، قال الحسن البصري في الحث على الثبات وعدم الأخذ بالتقية: ((إنما التقية رخصة، والفضل القيام بأمر الله)) (٤٣)، وخالصة ما تقدم في هذه الفقرة أن على المسلم المقيم بين ظهري الكفار إن أجبر على الكفر مرة أن يظهر ذلك تقية، ولكن هذا

الأمر ليس على إطلاقه، فإن كان هؤلاء يصرون على اجراء أحكام الكفر عليه، بحيث لا يبقى للإسلام رسم في قلبه، فعليه حينئذ الهجرة من هذه الدار والهروب من هؤلاء القوم بدينه وإيمانه، وهذا ما سنبينه في الفقرة الآتية.

٤- ويشترط لجواز التقية أن لا يكون للمكلف مخلص من الأذى إر بالتقية، وهذا المخلص قد يكون الهرب من القتل أو القطع أو الضرب، وقد يكون التورية عند الإكراه على الطلاق، وعدم الدهشة وهذا عند بعض الفقهاء ويكون ذلك باللسان دون القلب أو اليد كما هو مروى عن ابن عباس رضي الله عنهما (٤٤). وقد تكون الهجرة من بلد الكفر الى بلد الإسلام، فإن أمكنته الهجرة لم يكن له موالاة الكفار وترك إظهار دينه لقوله تعالى: { إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا } [النساء: ٩٧]، قال الألويسي: ((اعتذروا عن تقصيرهم في إظهار الإسلام وعن إدخالهم الخلل فيه وعن العجز عن القيام بواجبات الدين بأنهم كانوا مقهورين تحت أيدي المشركين وأنهم فعلوا ذلك كارهين، فلم تقبل الملائكة عذرهم لأنهم كانوا متمكنين من الهجرة، فاستحقوا عذاب جهنم لتركهم الفريضة المحتومة)) (٤٥).

ومقتضاه أن من كان مقهورا لا يقدر على الهجرة حقيقة لضغفه أو لصغر سنه وسواء أكان رجلا أم امرأة بحيث يخشى التلف لو خرج مهاجرا فذلك عذر في الإقامة وترك الهجرة، وقد صرح بهذا المعنى الآية التالية للآية السابقة وهي: { إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا } [النساء: ٩٨] وقال الألويسي أيضا: ((كل مؤمن وقع في محل لا يمكن له أن يظهر دينه لتعرض المخالفين وجب عليه الهجرة الى محل يقدر فيه على إظهار دينه، ولا يجوز له أصلا أن يبقى هناك ويخفي دينه ويتشبث بعذر الإستضعاف، فإن أرض الله واسعة، نعم إن كان مما له عذر شرعي في ترك الهجرة كالنساء والصبيان والعميان والمحوسين والذين يخوفهم المخالفون بالقتل أو قتل الأولاد أو الأباء أو الأمهات تخويفا يظن معه إيقاع ما خوفوا به غالبا، سواء كان هذا القتل بضرب العنق أو حبس القوت أو بنحو ذلك، فإنه يجوز له المكث مع المخالف، والموافقة بقدر الضرورة ويجب عليه أن يسعى في الحيلة للخروج والفرار بدينه. وإن كان التخويف بفوات المنفعة أو بلحوق المشقة التي يمكن تحملها كالحبس مع القوت، والضرب القليل غير المهلك فإنه لا يجوز له موافقتهم)) (٤٦).

٥- ويشترط أن يكون الأذى المخوف وقوعه مما يشق احتماله. والأذى إما أن يكون بضرر في نفس الإنسان أو ماله أو عرضه. أو في الغير، أو تقويت منفعة. فالأول كخوف القتل أو الجرح أو قطع عضو أو الحرق المؤلم أو الضرب الشديد أو الحبس مع التجويع ومنع الطعام والشراب. وقال المالكية: أو خوف صفع ولو قليلا لذي مروءة على ملاء من الناس (٤٧). أما التهديد بالسير فلا تحل به التقية ولا يجيز إظهار موالاة الكافرين أو ارتكاب المحرم. بل المنقول عن الأئمة خلافه، وإن كان يخشى على نفسه الهلاك عند وقوع التهديد العظيم فلا بأس بإظهار التقية عند ذلك، فقد روى شريح أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: ((ليس الرجل بأمين على نفسه إذا سجن أو أوثق أو عذب)) (٤٨).

وفرق الحنابلة بين هذا وبين الإكراه فمن ضرب ضربا شديدا أو يسيرا في حق ذي مروءة أو الحبس والقيد الطويلان أو أخذ المال الكثير والإخراج من الديار، أما إن كان ذلك تهديدا فهو إكراه وهو يختلف كما قرر ذلك القاضي أبو يعلى، واستحسن هذا القول ابن عقيل (٤٩)، أي يختلف باختلاف الأشخاص واختلاف الأمر المكروه عليه والأمر المخوف به، ولكن يمكن القول بأن الأمر على إطلاقه، وأما خوف فوت المنفعة فقد قال فيه الألويسي: إنه لا يجوز التقية (٥٠). وذلك كمن

يخشى إن لم يظهر المحرم أن يفوته تحصيل منصب أو مال يرجو حصوله وليس به إليه ضرورة، وهذا هو الصواب ويدل عليه من القرآن قوله تعالى: { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَأُوهُ وِرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيَّسَ مَا يَشْتَرُونَ } [آل عمران: ١٨٧] وفيها ذمهم الله تعالى على الكتمان في مقابلة مصالح عاجلة، أي من مال أو جاه، لأن قول الكذب والغيبة والنميمة ونحوها وقول الإنسان بلسانه خلاف ما في قلبه كل ذلك محرم والكاذب مثلًا لا يكذب إلا لمصلحة يرجوها من وراء كذبه، ولو سئل لقال إنما كذبت لغرض كذا وكذا أريد تحصيله، فلو جاز الكذب لتحصيل المنفعة لعاد كل كذب مباحا ويكون هذا قلبا لأحكام الشريعة وإخراجا لها عن وضعها الذي وضعت عليه.

٦- شدد بعض العلماء على ضرورة التفريق بين التقية وبين النفاق، فالنفاق هو ان يظهر الإيمان ويستر الكفر، وقد يطلق النفاق على الرياء، والتقية هي إبطان الإيمان وإظهار الكفر عند الضرورة كما تقدم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((أساس النفاق الذي بني عليه هو الكذب، وأن يقول الرجل بلسانه ما ليس في قلبه، كما أخبر الله تعالى عن المنافقين أنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم)) (٥١)، والصلة بين التقية وبين النفاق، أن المنافق كافر في قلبه لكنه يظهر بلسانه وظاهر حاله أنه مؤمن ويعمل أعمال المؤمنين ليأمن على نفسه في المجتمع الإسلامي وليحصل الميزات التي يحصلها المؤمن، فهو مغاير للتقية، لأنها إظهار المؤمن عند الخوف على نفسه ما يأمن به من أمارات الكفر أو المعصية مع كراهته لذلك في قلبه، واطمئنانه بالإيمان. من خلال ما تم عرضه يتبين مذهب أهل السنة والجماعة في مسألة التقية، والأصل فيها الحذر ولا يجوز اللجوء إليها إلا عند الضرورة القصوى، مع أن بعض العلماء فضل الأخذ بالعزيمة والثبات على الأخذ بها، علما بأن جمهور العلماء قال بإباحتها عند الضرورة كإباحة الميتة والخنزير عند الخشية من هلاك النفس من الجوع، وأنت ترى أن فقهاء أهل السنة عدوها من فروع الدين وليس من أصوله فبحثوها في كتب الفقه والتفسير، وليس في كتب أصول الدين والعقيدة، وفي هذا تعضيد لعمق نظرهم وعظيم فهمهم.

عن مقالة للدكتور ماجد خليفة.

الهوامش

- لسان العرب، مادة وقي: ٤٠٢/٢٥؛ الموسوعة الفقهية: ج ٢٨، مادة: (التقية). (١)
- الحديث أخرجه البخاري عن عدي بن حاتم رضي الله عنه، الصحيح، كتاب الزكاة، باب الصدقة قبل الرد: رقم ٢ (١٣٤٧؛ مسلم، الصحيح
- كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة، رقم ١٠١٦،
- لسان العرب، مادة وقي: ٤٠٢/٢٥ (٣)
- أحكام أهل الذمة: ص ١٠٣٨، (٤)
- المبسوط: ٤٥/٢٤ (٥)
- فتح الباري: ٣١٤/١٢ (٦)
- تفسير ابن كثير: ٣٥٨/١ (٧)
- أحكام القرآن: ٢٩٠/٢ (٨)
- كذا ورد في كتب الفقهاء، قال الحافظ ابن حجر: ((ولم أجده بكلا اللفظين)). الدراية: ١٩٧/٢ (٩)
- الحاكم، المستدرک: ٣٨٩/٢ وقال: ((هذا حديث صحيح على شرط الشيخين))؛ البيهقي، السنن الكبرى: ٣٨٩/٨ قال (١٠)
- الحافظ ابن حجر:
- ((وإسناده صحيح)). الدراية: ١٩٧/١
- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ٥٧/٤ (١١)
- المبسوط: ٤٤/٢٤ (١٢)
- المصدر نفسه. (١٣)
- أبو داود، السنن، كتاب الجهاد، باب قتل الأسير ولا يعرض عليه الإسلام: ٥٩/٣، رقم ٢٦٨٣؛ النسائي، السنن، كتاب
- تحريم الدم، باب
- حكم المرتد: ١٠٦/٧، رقم ٤٠٦٧،
- ابن سعد، الطبقات: ٢٥٠/٣ (١٥)
- مصنف ابن أبي شيبة: ٤٧٦/٦ (١٦)
- الحديث أخرجه الإمام أحمد، المسند: ١٩/٣؛ الترمذي، السنن: ٤٧١/٤؛ ابن ماجه، السنن: ١٣٢٩/٢؛ أبو داود، السنن: (١٧)
- ١٢٤/٤؛ النسائي،
- السنن: ١٦١/٧
- الموسوعة الفقهية: مادة (التقية). (١٨)
- مسلم، الصحيح، كتاب الزهد والرقائق، باب قصة أصحاب الأخدود: ٢٣٠٠/٤، رقم ٣٠٠٥ (١٩)
- الجامع لأحكام القرآن: ٢٩٣/١٩ (٢٠)
- تفسير ابن كثير: ١٦٠/٣ (٢١)
- المبسوط: ٤٥/٢٤ (٢٢)
- صحيح البخاري، كتاب الإكراه: ٢٥٤٦/٦، رقم ٦٥٤٤ (٢٣)
- فتح الباري: ٢٦٨/١٣ (٢٤)
- أخرجه ابن أبي شيبة من حديث سلمان الفارسي، المصنف: ٤٧٣/٦؛ البيهقي، شعب الإيمان: ٤٨٥/٥؛ ابن أبي عاصم،
- السنة: ص ١٥؛
- أبو نعيم، الحلية: ٢٠٣/١
- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد: ص ١٦١ (٢٦)
- الموسوعة الفقهية، مصدر سابق. (٢٧)
- صحيح البخاري: ٢٢٧١/٥ (٢٨)
- الجصاص، أحكام القرآن: ٢٩٠/٢ (٢٩)
- أخرجه الإمام أحمد من حديث ابن مسعود، المسند: ٤٤٦/١؛ الدارقطني، السنن: ٢٦/٣؛ الطبراني، المعجم الكبير: (٣٠)
- ١٥٩/١٠، والحديث حسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (رقم ٣٥٩٦).
- أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن عمر بن العاص رضي الله عنهما: ٨٧٧/٢، رقم ٢٣٤٨، (٣١)
- تفسير ابن كثير: ٢٤٨/١ (٣٢)
- ابن أبي شيبة، المصنف: ٤٧٤/٦ (٣٣)

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ١٥،/٥ (٣٤)
الموسوعة الفقهية، مصدر سابق. (٣٥)
أحكام القرآن: ١٣،/٥ (٣٦)
القواعد والفوائد الأصولية: ص ٤٩، (٣٧)
ابن أبي شيبة، المصنف: ٤٧٤،/٦ (٣٨)
المبسوط: ٤٧،/٢٤ (٣٩)
المغني: ٣١،/٩ (٤٠)
المبدع: ٢٥٦،/٧ (٤١)
(٤٣) مصنف ابن أبي شيبة: ٤٧٤/٦.

المصدر نفسه: ٣١/٩. (٤٢)

(٤٥) روح المعاني: ١٢٦،/٥
(٤٧) التاج والإكليل: ٤٥،/٤
(٤٩) المبدع: ٢٥٦،/٧
(٥١) منهاج السنة النبوية: ٤٦/٢.
(٤٤) مصنف ابن أبي شيبة: ٤٧٤،/٦
روح المعاني: ١٢١،/٣ (٤٦)
مصنف ابن أبي شيبة: ٤٧٤،/٦ (٤٨)
مختصر التحفة: ص ٢٨٨. (٥٠)

الباب الثانى

ويسألونك عن نبي الاسلام قل: هو الرحمة المهداة الذى جاء ليتمم مكارم الأخلاق

إنك لعلی خلق عظیم

هذا هو قول إله القرآن لمحمد. أما هو فقال عن نفسه " جئت لأتمم مكارم الأخلاق".

في الصفحات التالية سوف ننقل أحاديث ومواقف لنبي الإسلام تنسف هذه الوهمية من أساسها.

١ - عض أير أبيك: حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا محمد بن جعفر حدثنا عوف عن الحسن بن عتي بن صمرة عن أبي بن كعب أن رجلا اعتدى بعراء الجاهلية فأعضه ولم يكنه فنظر القوم إليه فقال للقوم إني قد أرى الذي في أنفسكم إني لم أستطع إلا أن أقول هذا إن رسول الله أمرنا إذا سمعتم من يعتري بعراء الجاهلية فأعضوه ولا تكنوا.

رواه أحمد في مسنده والترمذي في جامعه وصححه الألباني في (صحيح الجامع) رقم ٥٦٧. قال في ((النهاية)) " التعزي الإنتماء والإنتساب الى القوم. والعزوة اسم لدعوى المستغيث، وهو أن يقول: يا فلان، أو يا للأنصار، ويا للمهاجرين ... فأعضوه بهن أبيه: أي قولوا: عض أير أبيك (أير: العضو الجنسي للرجل ...).

٢ - النبي يقول الفحش:

وقال البخاري وأبو داود وغيرهما: إن النبي قال لعايز (ص) قال لعايز بن مالك الأسلمي وهو يستجوبه في حادثة الزنا: " أنكتها؟". وفي رواية أخرى: " حتى غاب ذلك منك في ذلك منها؟". ومعلوم أن " ذلك" اسم إشارة!!!.

(صححه الألباني ٤٧٧/١ - ح ٢٦٩)

٣ - النبي يسب أصحابه:

وقال البخاري ومسلم وغيرهما أن النبي قال: "أيما رجل من أمتي سببته سبة أو لعنته لعنة في غضبي فإنما أنا من ولد آدم أغضب كما يغضبون" فلان.

(البخاري ح ٦٨٢٤ - سنن أبي داود ح ٤٤٢٨ - مسند أحمد ح ٢٤٢٩)

٤ - يفتن رجلا بالنساء:

قال محمد للجد بن قيس: "يا أبا قيس هل لك أن تخرج معنا لعلك تردف خلفك بنات بني الأصفر". فقال له الجد بن قيس: "يا محمد لماذا تفتني بالنساء." (السيرة الحلبية ج ١٠٣/٣)

٥ - محمد يأذن بالدعارة:

عن جابر بن عبد الله وسلمة بن الأكوع رضي الله عنهما قالوا: كنا في جيش، فأتانا رسول الله (ص) فقال: إنه قد أذن لكم أن تستمتعوا فاستمتعوا. (صحيح البخاري ١٨٤٤)

٦ - زواج ثلاث ليال:

عن سلمة بن الأكوع عن أبيه عن رسول الله (ص) قال: إيما رجل وإمرأة توافقا فعشرة ما بينهما ثلاث ليال فإن أحبا أن يتزايذا أو يتتارك تتاركا. (صحيح البخاري ٥١١٩)

٧ - رضاعة الكبير:

عن عائشة رضي الله عنها: أن سالما مولى أبي حذيفة كان مع أبي حذيفة وأهله في بيتهم، فأنتت (تعني: سهلة بنت سهيل) النبي فقالت: إن سالما قد بلغ ما يبلغ لرجال وعقل ما عقلوا، وإنه يدخل علينا، وإني أظن أن في نفس أبي حذيفة من ذلك شيئا، فقال لها النبي (ص): "أرضعبه، تحرمي عليه، ويذهب الذي في نفس أبي حذيفة" فرجعت إليه فقالت: إنني قد أرضعته فذهب الذي في نفس أبي حذيفة. (صحيح مسلم ٨٨٠)

٨ - وطء المشركات المتزوجات حلال:

باب: وطء الحبالى من السبي:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله (ص) يوم حنين بعث جيشا الى أوطاس فلقوا عدوا فقاتلوهم. فظهروا عليهم، فأصابوا لهم سبايا، فكان ناسا من أصحاب رسول الله (ص) تخرجوا عن غشيانهن من أجل أزواجهن من المشركين فأنزل الله عز وجل في ذلك: "والمحصنات (٣) من النساء إلا ما ملكت أيما نكم، أي فهن لكم حلال إذا انقضت عدتهن. (صحيح مسلم ٨٣٧)

(١) المراد بالمحصنات هنا المزوجات، أي أنهن حرام على غير أزواجهن إلا ما ملكتم بالسبي فإنه يفسخ نكاح زوجها لكافر.

٩ - أهكذا يا رسول الله:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: كان النبي (ص) قد زوج زيد بن حارثة زينب بنت جحش، ابنة عمته، فخرج رسول الله يوماً يريد على الباب ستر من شعر، فرفعت الريح الستر فإتكشف، وهي في حجرها حاسرة، فوقع إعجابها في قلب النبي، فلما وقع ذلك كرهت إلى الآخر، فجاء فقال: يا رسول الله، إني أريد أن أفارق صاحبتي، قال: مالك، أراك منها شيء؟ قال: لا، والله ما رأيته منها شيء يا رسول الله، ولا رأيته إلا خيراً، فقال له رسول الله: إمسك عليك زوجك واتق الله، فذلك قول الله تعالى (إذ نقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه) تخفي في نفسك إن فارقتها تزوجتها.

جامع البيان في تفسير القرآن جاء في كتاب (فقه السيرة) للأستاذ سعيد عاشمور ص ١٢٦.

تقول زينب: بعد طلاقي من زيد لم أعلم إلا ورسول الله قد دخل على بيتي وأنا مكشوفة الرأس فعلمت إنه أمر السماء وقلت له: يا رسول الله أهكذا بدون ولي ولا شاهد؟ فقال لي: الله زوجك (أي هو الولي) وجبريل شاهد.

(حلية)

(الأولياء ٥٢/٢)

النبي ينظر للنساء الأجنيات فيثرن شهوته:

روى مسلم وأحمد بن حنبل وغيرهما أن النبي (ص) كان ينظر للنساء الأجنيات فتعجبتهن، فيأتي أي واحدة من نسائه ليقضي حاجته من النساء؛ فمرة أتى أهله سودة، ومرة أتى زينب، ومرة أتى أم سلمة، ومرة قال (ص): "إن فلانة مرت بي فوقع في قلبي شهوة النساء فأتيت بعض أزواجي؟ صححه حشوى العصر الألباني.

البخاري: (ح ٣٨٩٤ - ٦١٣٠). ومسلم (ح ١٤٢٢)، وسنن النسائي (ح ٣٢٥٦)، والمعجم الكبير للطبراني:

(١٧٨/٢٣ - ح ٢٨١). وسنن أبي داود (٤٩٣٢). منار السبيل (١٩٤/٢ - ١٣٨). والإنصاف للمرداوي (٣٤٤/٨، ٥٤) وكشاف القناع (١٨٦/٥). والمبسوط في الفقه الحنبلي للسرخسي (٢١٢/٤)، وشرح فتح القدير (٢٢١/٣)، والتمهيد لابن عبد البر (١٠٧/١٩)، والأم للشافعي (١٦٧/٥)، وأحكام القرآن للجصاص (٣٤٦/٢)، وبداية المجتهد لابن رشد (٥/٢)، ونيل الأوطار للشوكاني (٢٥١/٦).

عزم محمد على تطليق سودة بنت زمعة بعد أن شاخت:

أراد محمد أن يطلقها بعد أن شاخت فتنازلت عن ليلتها لعائشة حتى يبقى على زواجه منها.

محمد يطلب من امرأة أن تهبه نفسها:

الحديث من صحيح البخاري: عن أبي أسيد قال: "خرجنا مع النبي (ص) حتى انطلقنا إلى حائط يقال له الشوط. حتى انتهينا إلى حائطين فجلسنا بينهما فقال النبي (ص): "إجلسوا ها هنا" ودخل وقد أتى بالجونية (أحد سبايا الحرب اسمها أميمة) فأنزلت في بيت في نخل في بيت أميمة النعماني بن شراحبيل، ومعها دابتها حاضنة لها، فلما دخل النبي (ص) قال: هبي نفسك لي. قالت: وهل تهب الملكة نفسها للسوقة؟ قال: فأهوى بيده يضع يده عليها (كناية عن أنه ضربها) لتسكن، فقال: أعوذ بالله منك. فقال: عدت بمعاد، ثم خرج عليها فقال: يا أبا أسيد إكسها، إلحقها بأهلها".

أم حرام تفلّي رأس الرسول:

عن أنس من مالك قال: كان رسول (ص) الله يدخل على أم حرام بنت ملحان وكانت تحت عبادة بن الصامت فدخل يوماً فأطعمته وجعلت تفلّي رأسه فنام رسول الله ثم استيقظ وهو يضحك.
(صحيح البخاري ٧٠٠١)

استمتع بها:

عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن ابن عباس أن رجلاً قال: يا رسول الله إن تحتني امرأة لا تمنع يد لامس فقال: غربها (يعني طلقها) قال: إني لا أصبر عنها. قال: استمتع بها.

هذا الحديث صححه:

- ١ - ابن حزم في المحلى (١١) قال: هذا حديث في غاية الصحة.
 - ٢ - النووي كما في التلخيص (٢٢٥/٣).
 - ٣ - قال المنذري في مختصر السنن: رجال إسناده محتج بهم في الصحيحين على الإتيان والإفراد.
 - ٤ - الهيثمي في مجمع الزوائد (٦١٧/٤): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.
 - ٥ - الحافظ ابن كثير صحح أحد أسانيده وقال: إسناده جيد (١٦٩/١٠).
 - ٦ - الحافظ ابن حجر في التلخيص (٢٢٥/٣): قال: سنده صحيح، وقال كما في الفوائد المجموعة (١٢٩): حسن صحيح ولم يصب من قال: إنه موضوع أ.هـ.
 - ٧ - الفتني في تذكرة الموضوعات (ص ٩٢٧): الحديث جيد الإسناد.
 - ٨ - الشيخ الألباني في صحيح أبي داود وصحيح النسائي.
- هذا مجرد غيض من فيض لأحاديث نبي الإسلام تفضح بما لا يدع مجالاً لأي شك وهمية أنه جاء ليتمم مكارم الأخلاق.

الكذب الحميد

جاء في كتاب " روح الإسلام " الذي كتبه الداعية الإسلامي " عفيف طيارة " ليدعو الناس فيه الى الإسلام، صفحة ٢٤٧ ما يلي: " ليس الكذب دائما سيئا. فمن المؤكد أن هناك حالات يكون فيها الكذب أكثر فائدة من الصدق للصالح العام ولفض النزاع بين الناس. وفي هذا الصدد يقول النبي: لا يضل من يصلح بين الناس (بالكذب)، ومن يؤيد الصلاح ويقول ما هو صالح". هذا الأمر تؤيده الكثير من القصص في حياة محمد. فهو كثيرا ما كذب وما حث أتباعه على الكذب. وكان دائما ينادي أنه في سبيل الإسلام يُباح للمسلم عدم مراعاة الصدق. من هذه الأمثلة قصة قتل كعب ابن الأشرف من قبيلة بني النضير اليهودية. وصلت التقارير الى محمد أن كعب كان يؤيد القرشيين في معركتهم ضد محمد. بالإضافة الى ذلك نما الى علم محمد أن كعب كان يتلو شعرا يغازل فيه نساء المسلمين. وفي رأي محمد كان كعب قد " أذى الله والرسول". فطلب محمد متطوعين ليخلصوه من ابن الأشرف. وكان كعب وقبيلته أقوىاء في ذلك الوقت ولم يكن من السهل لغريب أن يتسلل وينفذ هذه العملية. ولكن رجلا يدعى محمد ابن مسلمة تطوع بأن يقوم بهذه المهمة على شرط أن يسمح له محمد بالكذب. وبناء عليه ذهب ابن مسلمة الى كعب وجعل يذكر له قصصا يذم فيها محمد. وبعد أن كسب ثقة كعب استدرجه بعيدا عن بيته ليلا الى مكان ناء حيث قتله في جنح الظلام.

وهناك مثالا آخر مشابه في قصة مقتل شعبان بن خالد الهذلي. وكانت قد وصلت الأخبار الى محمد أن شعبان يعد جيشا لمحاربة المسلمين. فأمر محمد رجلا اسمه عبد الله بن أنيس بقتله. ومرة أخرى طلب القاتل من النبي أن يسمح له بالكذب، فسمح له، ثم قال له أن يقول أنه من خزاعة (وهذه كذبة أخرى). وعندما رأى شعبان عبد الله قادمًا سأله: " ممن الرجل؟" فرد عبد الله " من خزاعة". واستمر عبد الله يقول له " سمعت بجمعك لمحمد فجنئك لأكون معك". واستمر عبد الله في السير مع شعبان يقول له ذما في محمد " عجا لما أحدث محمد من هذا الدين (الإسلامي) المحدث، سب الآباء، وسفه أحلامهم". واستمر في الحديث والمشى الى أن وصلا الى خيمة شعبان. ومضى رفاق شعبان الى خيامهم، وبعد ذلك دعى شعبان عبد الله الى داخل الخيمة ليستريح. وجلس عبد الله في الخيمة الى أن أحس أن الجميع قد هدأوا وناموا فانقض على شعبان وقتله وأخذ رأسه الى محمد. فلما وصل عبد الله الى المدينة ورآه محمد من بعيد، صاح محمد فرحا " أفلح الوجه". فرد عبد الله التحية بقوله " أفلح وجهك يا رسول الله".

وفي الحديث يؤكد محمد نفس المفهوم:

عن كتاب إحياء علوم الدين للعلامة الإسلامي الغزالي - المجلد ٤ صفحة ٢٨٤-٢٨٧. عن أم كلثوم (إحدى بنات النبي) أنها قالت: " ما سمعت رسول الله يرخص في شيء من الكذب إلا في ثلاث: الرجل يقول القول يريد به الصلاح، والرجل يقول القول في الحرب، والرجل يحدث امرأته، والمرأة تحدث زوجها". وحديث آخر نسب الى النبي " كل الكذب يُكتب على ابن آدم إلا رجل كذب بين مسلمين ليصلح بينهما". وحديث آخر يقول: " يا أبا كاهل أصلح بين الناس". أي ولو بالكذب.

وفي حديث آخر جمع النبي كل المواقف التي يحل فيها الكذب فقال: " كل الكذب يُكتب على ابن آدم لا محالة إلا أن يكذب الرجل في الحرب فإن الحرب خدعة أو يكون بين الرجلين شحناء فيصلح بينهما أو يحدث إمرأته فيرضيها". وهذا الحديث على درجة عالية من التوثيق نفرد له بعض السطور لكي يطمئن قلب القارئ الكريم.

ما سمعت رسول الله (ص) يرخص في شيء من الكذب إلا في ثلاث: كان رسول الله يقول: لا أعده كذا الرجل يصلح بين الناس، ويقول القول لا يريد به إلا الإصلاح، والرجل يقول في الحرب، والرجل يحدث إمرأته والمرأة تحدث زوجها.

الراوي: أم كلثوم بنت عقبة
خلاصة الدرجة: [أشار في المقدمة أنه صحيح الإسناد]
المحدث: عبد الحق الإشبيلي
المصدر: الأحكام الصغرى
الصفحة أو الرقم: ٥٣٤

لا يحل الكذب إلا في ثلاث كذب الرجل إمرأته ليرضيها والكذب في الحرب والكذب ليصلح بين الناس.

الراوي: أسماء بنت يزيد بن السكن
خلاصة الدرجة: [حسن كما قال في المقدمة]
المحدث: ابن حجر العسقلاني
المصدر: هداية الرواة
الصفحة أو الرقم: ٤٤٧/٤

لا يحل الكذب إلا في ثلاث: كذب الرجل على إمرأته ليرضيها، والكذب في الحرب، والكذب ليصلح بين الناس.

الراوي: أسماء بنت يزيد
خلاصة الدرجة: حسن
المحدث: الألباني
المصدر: مشكاة المصابيح
الصفحة أو الرقم: ٤٩٦٠

لم أسمع رسول الله (ص) يرخص في شيء مما يقول الناس: إنه كذب؛ إلا في ثلاث: الرجل يصلح بين الناس، والرجل يكذب لإمرأته، والكذب في الحرب.

الراوي: أم كلثوم بنت عقبة
خلاصة الدرجة: إسناده صحيح
المحدث: الألباني
المصدر: النصيحة
الصفحة أو الرقم: ٢١٦

ما سمعت رسول الله يرخص في شيء من الكذب إلا في ثلاث كان رسول الله يقول لا أعده كاذبا! الرجل يصلح بين الناس، يقول القول ولا يريد به إلا الإصلاح، والرجل يقول في الحرب، والرجل يحدث إمرأته، والمرأة تحدث زوجها.

الراوي: أم كلثوم بنت عقبة
خلاصة الدرجة: صحيح
المحدث: الألباني
المصدر: صحيح أبي داود
الصفحة أو الرقم: ٤٩٢١

ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فيقول خيرا أو ينمي خيرا قالت: ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس من الكذب إلا في ثلاث: الإصلاح بين الناس، وحديث الرجل إمرأته، وحديث المرأة زوجها.

الراوي: أم كلثوم بنت عقبة
خلاصة الدرجة: صحيح
المحدث: الألباني
المصدر: صحيح الأدب المفرد
الصفحة أو الرقم: ٢٩٧

لا يصلح الكذب إلا في ثلاث: يحدث الرجل إمرأته ليرضيها، والكذب في الحرب، والكذب ليصلح بين الناس.

الراوي: أسماء بنت يزيد
خلاصة الدرجة: حسن
المحدث: الألباني
المصدر: صحيح الجامع
الصفحة أو الرقم: ٧٧٢٣

لا يحل الكذب إلا في ثلاث: يحدث الرجل إمرأته ليرضيها، والكذب في الحرب، والكذب ليصلح بين الناس.

الراوي: أسماء بنت يزيد
خلاصة الدرجة: صحيح دون قوله: " ليرضيها"
المحدث: الألباني
المصدر: صحيح الترمذي
الصفحة أو الرقم: ١٩٣٩

لم يقف الأمر عند أحاديث محمد فقط بل أن في القرآن، يدعو الله المسلمين أحيانا الى الكذب:
" لا يؤاخذكم الله باللغو في إيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الإيمان فكفارتهم إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة. فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة إيمانكم إذا حلفتم واحفظوا إيمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون". سورة المائدة ٥: ٨٩.
" لا يؤاخذكم الله باللغو في إيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور رحيم". سورة البقرة ٢: ٢٢٥.

" من كفر بالله بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان. ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب الله ولهم عذاب عظيم". سورة النحل ١٦: ١٠٦.

ويقول العلامة الإسلامي الشيخ الطبري في شرحه للآية السابقة أن هذه الآية نزلت على محمد بعد أن سمع أن عمار بن ياسر كفر بمحمد لما أخذه بني المغيرة وأجبروه على ذلك. فقال له محمد " إن عادوا فعد". (أي إذا أخذوك مرة أخرى فاكذب مرة أخرى). هذه الآيات القرآنية وغيرها توضح أن الله - ليس فقط - يغفر للمسلم الكذب غير المقصود. بل أيضا يغفر للمسلم الكذب المقصود بعد أداء بعض الفروض ككفارة. أيضا توضح أنه من حق المسلم أن يكذب بعد القسم وأن ينكر إيمانه بالله طالما يقول ذلك بلسانه فقط بينما يتمسك بالإيمان في قلبه.

رضاعة الكبير

عن حوار مع الدكتور عزت عطية رئيس قسم الحديث بكلية أصول الدين جامعة الأزهر. أجرى الحوار الأستاذة هبة عبد المنعم لجريدة الوطني اليوم بتاريخ ١٥ مايو ٢٠٠٧. ولكن قبل أن ننقل الحوار نورد هنا مقالة للأستاذ سعد الله خليل نشرت بجريدة إيلاف الإلكترونية بتاريخ ١٩ مايو ٢٠٠٧. وبعد الحوار نورد أيضا مقالة للأستاذ نهرو طنطاوي مُعلقا على الفتوى على موقع أرب تايمز بتاريخ ٢٠٠٨/٤/١٤.

فتوى رضاعة الكبير وتشكيك المتأسلمين:

فوجئت الأكثرية الساحقة من المسلمين بالفتوى التي تبيح للمرأة المسلمة إرضاع زميلها في العمل خمس رضعات، كحل للخلوة المحرمة بينهما، تلك الفتوى التي أصدرها الدكتور عزت عطية رئيس قسم الحديث بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر، مبينا أن الإرضاع يكون بالتقام الثدي مباشرة. أي ليس كما ادعى البعض أنه يكون بشرب حليب المرأة التي سترضعه، في كأس. وقد عقب الدكتور عطية على هذه الرخصة قائلا إن إرضاع الكبير يضع حلا لمشكلة الخلوة، ولا يحرم النكاح. وذلك تبعا لرأي الليث بن سعد، مؤكدا إن المرأة في العمل يمكنها أن تخلع الحجاب أو تكشف شعرها أمام من أرضعته وهذه هي الحكمة من إرضاع الكبير، فالعورات الخفيفة مثل الشعر والوجه والذراعين يمكن كشفها، أما العورات الغليظة فلا يجوز كشفها على الإطلاق. مبررا ذلك بأن حماية الأعراض من المقاصد الأصلية للشريعة. مضيفا أنه من أرذل الرذائل النفور أو استقباح أمر أقره الرسول، ويسر به على الأمة، بدعوى المدنية أو الحرص على المحرمات. فهل أولئك الذين يستبجحون أو ينفرون من هذه الرخصة أكثر حرصا من الرسول؟ وتابع قائلا: إن الله أدرى بمصالح عباده. والشرع إلزام بما ألزم الله به، لا بما يريده الناس لأهوائهم، وختم بالقول أنه لو رضع الناس من بعضهم فهذا فائدة للأسلام، لأن كل رجل سيحترم المرأة ولن يؤذيها.

كثيرا ما هوجم الذين كتبوا وتحدثوا من قبل، عن هذه الرخصة في الإسلام، التي شرعها ومنحها الرسول للنساء، لحل مسألة الخلوة المحرمة، وكثيرا ما هاجمهم بقسوة وشدة الإسلاميون المسيسون، وعامة المسلمين الذين لا يقرأون، واتهمهم بالكذب والإفتتات، وترويج الأحاديث الموضوعية، أو المشكوك فيها، أو الضعيفة، بقصد الإساءة للإسلام والمسلمين، وتشويه صورتها. إن أولى النساء اللواتي استخدمن هذه الرخصة هي أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق حبيب الرسول وخليفته، فكانت تأمر بنات أخواتها وبنات أخواتها بإرضاع من تستدعي الظروف دخوله عليها بدون تحرج شرعي. وأقرتها على فعلها ذلك أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب حبيب رسول الله وخليفة خليفته، التي أرسلت ابن أخيها سالم بن عبد الله ليرضع من أخت السيدة عائشة، فوضع ثلاث مرات، ولم يتم خمس رضعات، فلم تدخله السيدة عائشة.

ومع أن هذا الحديث قد ذكره كل من البخاري ومسلم في صحيحيهما، فقد كان من المسكوت عنه لدى مشايخ الإسلام، ولم تعلم به الأكثرية الساحقة من المسلمين، لأن أمة اقرأ تكتفي بالمشافهة والسماع، ولا تقرأ. لا بل تم التعقيم عليه عن قصد، لظن أولئك الشيوخ أن مضمونه لا يتناسب مع روح العصر الحديث وأخلاق أبنائه. وحتى بعد صدور هذه الفتوى التي أجازت إرضاع الكبير، وأكدت بشكل قاطع لا ليس فيه أن الحديث صحيح ومتفق عليه، فإن هذه الأكثرية الساحقة ما زالت غير مصدقة، لا بل مشككة، وتتهم صاحب الفتوى بأنواع عدة من الإتهامات. إن الكتب التي تعني بالناسخ والمنسوخ - والعهد على الراوي - تنقل لنا عن السيدة عائشة أن رضاعة الكبير كانت عشر رضعات معلومات ثم نسخن بخمس معلومات فقد ذكر صاحب تفسير الجلالين، الإمام جلال الدين السيوطي الشافعي، في كتابه الإتيقان في علوم القرآن، باب ناسخه ومنسوخه: (قالت عائشة: كان فيما أنزل عشر رضعات معلومات فنسخن بخمس معلومات، فتوفي رسول الله (ص) وهن مما يُقرأ من القرآن). كما نقل قول السيدة عائشة ابن الجوزي في كتابه نواسخ القرآن، مضيفاً أنها قالت فلما اشتكى رسول الله تشاغلنا بأمره فأكلتها ربيبة لنا، أي الشاة. لقد أثارت هذه الفتوى غضب الإخوان المسلمين، إذ تدارس خمسون من نوابهم في البرلمان المصري هذه الفتوى، وأعربوا عن قلقهم وتخوفهم من انتشارها إعلامياً، واقترح بعضهم تقديم طلب إحاطة، لكنهم أرجأوا ذلك خوفاً من أن تثير الإحاطة ما لا تحمد عقباه من تداعيات عليهم، خاصة وأن هذا الموضوع قد أثار لغطاً شديداً في الشارع المصري، وخصوصاً في أماكن العمل بين أوساط الموظفين والموظفات. فهل يرفض الإخوان الذين يدعون حرصهم على الإسلام وتمسكهم به، ما شرعه الله، وأحلّه الرسول؟

والآن إلى حوار الدكتور عزت عطية:

حوار - هبه عبد المنعم: ما زالت القضايا التي أثارها كتاب دفع الشبهات عن السنة والرسول للدكتور عبد المهدي عبد القادر استاذ الحديث بجامعة الأزهر تثير الكثير من الأخذ والرد وخاصة فتوى " إرضاع الكبير" وكان رئيس قسم الحديث بكلية أصول الدين د. عزت عطية له آراء جريئة في هذا الموضوع، ونظراً لخطورتها كان لا بد أن نناقشه فيها في هذا الحوار ..

* آثار رأيك حول إباحة إرضاع الكبير لحل مشكلة الخلوة بين الرجل والمرأة في العمل جدلاً كبيراً ويقال إنك لم تتمكن من توضيح رأيك خلال برنامج شارع الكلام علي القناة الثقافية فما هو ردك؟

- في البداية أؤكد أن ما قلته وأقوله هنا هو فتوى اسأل عنها أمام الله أولاً وأمام أهل العلم فأنا قصدت كل كلمة قلتها في البرنامج أي أنني مسؤل عن كلامي وكنت أعني كل كلمة نطقت بها وليس صحيحاً ما ذكره الدكتور عبد المهدي عبد القادر في حوارهِ الذي نشرته الجريدة الأسبوع الماضي من " أنني لم تتح لي الفرصة جيداً لأوضح رأيي وأن كلامي ليس فتوى وإنني أريد طرح الفكرة على مجمع البحوث الإسلامية" فهذا الكلام غير صحيح فأنا استاذ ورئيس قسم الحديث بكلية أصول الدين أي أنني عالم من علماء الدين وكلامي هو فتوى شرعية ولو أردت عرض ما أقوله على مجمع البحوث الإسلامية لكان ذلك قبل إذاعة البرنامج والنشر أما بعد ذلك فكلامي معروض أمام الجميع.

* هل معنى كلامك انك ترفض طرح المسألة على مجمع البحوث؟

- لا، فما أقوله اجتهاد علمي قابل للمناقشة وكل إنسان يؤخذ من قوله ويرد لعدم العصمة بشرط قوة الدليل ورجاحته ولكن من حقي كعالم دين أن أعلن رأيي في أي قضية بدون موافقة مجمع البحوث الإسلامية فأنا ارفض أي قيد على حرية الرأي.

* هل يمكن أن تتراجع عن رأيك إذا اثبت مجمع البحوث عدم صحته؟

- رأي صحيح لأنه يستند الى دليل وإذا كان لمجمع البحوث رأي آخر معارض لرأيي سيكون اختلافًا في الرأي والاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية واختلاف العلماء رحمة ويمكن أن أراجع عن رأيي بشرط اقتناعي وقوة الدليل.

* يتهمك البعض بأنك حولت إرضاع الكبير الى قضية فما هو تعليقك؟

- لم أحول إرضاع الكبير الى قضية ولكنني أوضح حكما شرعيا ورد في السنة النبوية وهو ثبوت إرضاع الكبير لإباحة الدخول والخلوة بين رجل وامرأة ليس بينهما صلة قرابة النسب ولا صلة الإرضاع في حال الصغر قبل الفطام بشرط أن تكون الخلوة لضرورة دينية أو دنيوية.

* يتعجب البعض كيف تحدث الخلوة بين رجل وامرأة في العمل؟ فما المقصود بالخلوة؟

- الخلوة هي إغلاق باب الحجرة على رجل وامرأة وعدم إمكانية رؤية من بداخل المكان بأي وسيلة مثل مدير العمل والسكرتيرة وإنارة اللبنة الحمراء على باب الغرفة بحيث لا يستطيع أحد رؤية ما يحدث بالداخل كذلك الخادمة التي تضطرها الظروف للإقامة في منزل به رجال ويغلق عليهم الباب.. فالخلوة بين رجل وامرأة ليس بينهما قرابة حرام لإثارة الريبة والشك ولا يلزم من الخلوة الإتصال الجنسي بل التمكن منه، وبذلك يضع إرضاع الكبير حلا لهذه المشكلة لأن حماية الأعراض من المقاصد الأصلية للشريعة ويبنى عليها كثير من الأحكام.

* ألا يوجد حل آخر غير إرضاع الكبير لحل مشكلة الخلوة في العمل؟

- إذا كان قصدك أي مخرج شرعي آخر فلا يوجد أي حل فالخلوة بين الرجل والمرأة حرام ما لم يكن بينهما صلة نسب أو إرضاع ولكن يوجد حل عملي آخر وهو أن تكون حوائط الغرف في العمل زجاجية بحيث يمكن رؤية ما يحدث بداخل الغرف من الخارج كما يحدث في بعض الدول الأجنبية أو وضع كاميرات فيديو مراقبة داخل الغرف وفي ذلك صيانة للأعراض، ومنعا للشك والريبة والقليل والقال بين الناس باستخدام التكنولوجيا قد يغني عن إرضاع الكبير. كما أطالب أيضا بتوثيق الإرضاع كتابة ورسميا وذلك لفساد الذمة مثل ما حدث في النكاح فهو لم يكن موثقا ولكن اقتضت الضرورة توثيقه حفظا للحقوق، وكذلك يكون توثيق الإرضاع زيادة في الإحتياط في حالة وفاة الشهود.

* ما هي صيغة عقد توثيق إرضاع الكبير؟

- يُكتب في العقد أن فلانة أرضعت فلانا ونشهد الله على ذلك ونحن من الشاهدين.

* ألا تخاف أن يثير رأيك اعتراض شيخ الأزهر أو بعض زملائك في الجامعة؟

- من لم يعجبه هذا الرأي لا يلغي الحكم الشرعي ولكن يجب عليه أن يأتي بحكم شرعي آخر بالدليل ويكون أقوى منه.. أما ترك المسألة بدون حكم فهذا ما لا أقبله فهذا رأيي وأنا متحمل مسؤوليته أما الجميع.

* تطبيق إرضاع الكبير لحل خلوة العمل سبترتب عليه أن يكون للمرأة إخوة من الإرضاع كثيرون خصوصا إذا غيرت عملها من مكان لآخر والعكس صحيح بالنسبة للرجل وبذلك سيصبح جميع الناس إخوة من الرضاعة، ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب؟ فما ردك؟

- إرضاع الكبير لا يحرم النكاح أو الزواج لأن الإرضاع بعد عمر سنتين لا أثر له في تحريم النكاح، والكبير المقصود به هو ما زاد عمره على عامين أما إرضاع الصغير فهو الذي يحرم النكاح فإن إرضاع الكبير يترتب عليه إباحة الخلوة ولا يحرم النكاح.

* إذن ما الفائدة من الإرضاع ما لم يحرم الزواج؟ فكيف يبيح إرضاع الكبير الخلوّة وفي نفس الوقت لا يمنع الزواج وهل معنى ذلك أن الرجل يمكن أن يتزوج من أمه في الرضاعة إن أعجبتّه كإمرأة؟

- عدم الإقتناع عقلا بحديث إرضاع الكبير لا يمنع ثبوته فهو حديث صحيح والإعتراض عليه هو إعتراض على الرسول (ص) وتشكيك في السنة النبوية والخلاف بين عائشة وأمّهات المؤمنين في تشخيص الوقائع لا في ثبوت إرضاع الكبير شرعا فرأت عائشة رضي الله عنها أن الخلوّة ضرورة لتحصيل العلم والفتوى ورأي أمّهات المؤمنين أن الخلوّة ليست ضرورية لإمكان الإستعانة في تحصيل العلم بقريب من الرضاع أو النسب وأنا أرى أن رأي عائشة أقوى في نظري لأن المسائل العلمية الدينية لا بد فيها من الإتصال المباشر بين المستفتي والمفتي في خلوّة. أما من ينكر رضاع الكبير عليه إثبات عدم الحاجة الى الخلوّة بين رجل وإمرأة ليس بينهما نسب أو رضاع في الصغر وإذا أثبت ذلك سلمنا له عدم الحاجة الى رضاع الكبير وإذا سلم ذلك في حالة لا يسلم على الإطلاق.

* هل معنى ذلك أنه يمكن للمرأة أن تتحرر من الحجاب أمام أخيها من أرضاع الكبير؟

- نعم فيمكنها أن تخلع الحجاب أمامه ويمكن أن تكشف شعرها أمامه، وهذه هي الحكمة من إرضاع الكبير فالعورات الخفيفة مثل الشعر والوجه والذراعين يمكن كشفها أما العورات الغليظة فلا يجوز كشفها.

* كيف تخلع المرأة الحجاب أمام رجل قد يفكر بالزواج بها تحت ستار رضا الكبير؟

- كشف الشعر شيء والزواج شيء آخر.

* هل يصح أن تخلع المرأة الحجاب أمام أولاد عمها أو عمتها أو خالها أو خالتها؟

- لا يصح أن تخلع الحجاب أمامهم.

* إذن كيف تكون صلة رضاع الكبير أقوى من صلة الرحم؟

- إرضاع الكبير يكون للضرورة لحل مشكلة الخلوّة بين رجل وإمرأة فتصبح المرأة أخته من الرضاع ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب فلماذا تخلع الحجاب أمام أولاد عمها أو غيرهم ولا توجد ضرورة لذلك؟!

* إذن ما الضرورة من خلع الحجاب أمام أخيها في إرضاع الكبير؟

- إرضاع الكبير يكون لإباحة الدخول والخلوّة بين رجل وإمرأة ليس بينهما صلة قرابة النسب ولا صلة الرضاع في حال الصغر بحيث تكون المرأة على طبيعتها في البيت ولا يكون عليها حرج وتكون للضرورة.

* هل من المنطقي أن تكون أم الرجل أو أم المرأة في سن تمكنها من الإنجاب والإرضاع هذا معقول؟

- أهم شيء أن يحصل بينهما صلة رضاع بأن أمه ترضعها أو أمها ترضعه أو أختها ترضعه أو أخته ترضعها بحيث تكون نتيجة الرضاع أخوة من الرضاع.

* هل ترى أن عمل المرأة ضرورة حتى يباح إرضاع الكبير أليس هذا توسعا في الضرورة؟

- قد يصبح في بعض الأحيان ضرورة ففي حرب العراق مثلا وقعت غارة على إحدى القرى ولم تنج إلا إمرأة واحدة فقدت جميع أقاربها ولا يمكنها أن تعيش بمفردها فاضطرت للعمل في المنازل

أو تعيش بمفردها في منزل فهل يمكنها الإستغناء عن رجل يقضي لها مصلحة أو يتعامل معها؟! ففي هذه الحالة تكون ضرورة وكذلك العكس صحيح رجل يعيش بمفرده يمنع دخول النساء عليه فكيف يمنع رحمة الله تعالى لمن يحتاجها؟! فالضرورة موجودة فمثلا امرأة تسير ليلا ثم انقطع بها الطريق وأدخلها رجل بيته لتنام أيمنع دخولها البيت أم يتركها لتأكلها الذئب؟! ففي هذه الحالة يمكن أن ترضع المرأة من أمه وأنا لا أتوسع في استخدام الضرورة فيتصور الناس أن جميع الموظفين والموظفات في مصلحة حكومية يجب عليهم إرضاع الكبير لأن هذا تصور خاطئ ولكنني أقصد الغرفة المغلقة التي تجمع رجلا وامرأة بمفردهما ولا يدخلها أحد إلا بإذن أحدهما.

* إذا إقتضت الضرورة أن تكون المرأة المسلمة في خلوة مع رجل غير مسلم مثل حرب العراق أو كانت تخدم في منزل جندي أمريكي وهي مضطرة فهل يجب الإرضاع؟

- الأحكام الشرعية مثل رضاع الصغير أو الكبير تكون بين المسلمين فقط وبذلك يجوز للمرأة المسلمة أن تخلو بغير المسلم ولكن المرأة التي مات أهلها في الحرب ولم تجد أي بيت مسلم يؤويها فتكون في هذه الحالة مضطرة وهي ضرورة قصوى فتأخذ حكم الأسيرة فجميع الظروف مفروضة عليها وتكون مكرهة أما في بلاد الإسلام فلا يجوز للمرأة المسلمة أن تخلو بغير المسلم وعليها أن تبحث عن مسلم يؤويها وتعمل إرضاع الكبير بحيث تكون أخته في الرضاع حلا لمشكلة الخلوة.

* هل تعتقد أن حدوث إرضاع الكبير يمنع الرجل أن يفعل أي سوء بالمرأة التي يختلي بها بمعنى أن يتحرش بها؟

- بعد حدوث الإرضاع تكون المرأة أخته في الرضاعة فإذا حدث بينهما ما يخدم فيكون ما حدث بين أخوين وليس غريبين ولذلك تغلظ العقوبة، ولقد بعث الرسول (ص) سرية كاملة لقتل رجل تزوج امرأة أبيه وكذلك من يفعل الفاحشة مع أخته أو محرم عليه فعقوبته أشد ممن يفعل الفاحشة مع غريبة عنه فعملية الرضاع تمنع مجرد التفكير في أي اتصال جنسي فالحكمة من الرضاع أن تصبح المرأة قريبة وليست غريبة على الرجل والعكس وحرمة الرضاع كحرمة النسب وفي ذلك صيانة للحرمان.

* يعتبر مهاجمون إرضاع الكبير أنه رخصة للخلوة بالمرأة تحت المظلة الشرعية؟

- هي رخصة للضرورة وليس لمجرد الخلوة لأن الخلوة من غير ضرورة حرام فنحن لا نفتح باب الخلوة ولكن نعالج قضية الخلوة بين الرجل والمرأة عند الضرورة.

* ما الحل إذا لم تجد المرأة أو الرجل من ترضع منه؟

- تبحث عن رجل آخر يمكن أن تحدث بينهما صلة رضاع.

* ولكنك قلت أن المرأة اضطرت للخلوة مع رجل وهذا معناه إنها لا تجد بيتا آخر تذهب إليه فماذا تفعل؟

- فإذا اضطرت المرأة ولم تجد أي مكان آخر أو أي عمل آخر فتصبح حالة ضرورة والضرورات تبيح المحظورات مثل أكل الميتة.

* يتساءل البعض عن أهمية إرضاع الكبير في الوقت الذي أمرنا الله فيه بغض البصر وصيانة الأعراض ونهي عن الزنا أليست أوامر الله كافية حتى نلتزم بها حتى لو وجدت الخلوة؟

- هذه أوامر عامة ولكن الحكمة من إرضاع الكبير هي تحويل العلاقة البهيمية عند الإنسان الى علاقة دينية تقوم على الحقوق.

- * هل يمكن إذا كانت المرأة ترضع أن ترضعه؟!
 - نعم يمكن لها أن ترضعه ويصبح ابنها من الرضاع.
- * هل يصح لإبنتها من الإرضاع أن يتزوجها؟
 - نعم يصح أن يتزوجها لأن الرضاع كان في حال الكبر والرضاع الذي يحرم الزواج هو الذي يكون في حال الصغر.
- * كيف يكون ابنها من الرضاع ثم تتزوجه أليس هذا كلام غريب؟!
 - الرضاع المحرم للنكاح هو الذي يكون في حدود سنتين من عمر الصبي .. قال تعالى " والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين " وقال رسول الله (ص) " لا رضاع إلا ما فتق الأمعاء"، " لإرضاع بعد حولين" وهذا ما جعل بعض العلماء يقول أنه لا يوجد إرضاع الكبير لأنه لا أثر له في تحريم النكاح لكن عندما جعله الرسول مباحا للخلو اقتصر به على إباحة الخلو فهي عملية مقارنة فقهية بين الأدلة كل دليل يوضح في موطنه وهذا فقه دقيق والعام لا يمكنهم فهمه وفي أجهزة الإعلام لا يوجد وقت لعرض هذه الأدلة والمتلقى دوره أن يعرف النتائج، ولا يمكنهم الدخول في تفاصيل الإجتهد لأنهم لن يتأهلوا لذلك ولا يمكنهم الحكم على صحة إرضاع الكبير، ولكن الحكمة من طرح هذه القضايا في وسائل الإعلام هو فتح شهية الناس للبحث والدراسة بحيث يرجع الناس الى العلماء لفهم التفاصيل لأنه لا يوجد الوقت الكافي في البرامج لفهم التفاصيل والأسئلة.

* هل يكون إرضاع الكبير بالحلب في إناء أم بالتقام الثدي؟

- إرضاع الكبير يكون مباشرا أي بالتقام الثدي وسالم الذي رضع كان كبيرا وله لحية والحديث صحيح ومن يعترض عليه فيكون إعتراضه على رسول الله.

* قلت إن الإرضاع يكون بالتقام الثدي أي يكون الإرضاع مباشرا وليس بالحلب في إناء ألن يثير ذلك الغرائز عند الرجل أو المرأة؟

- الرسول (ص) أجاز ذلك واتفق المسلمون جميعا على ثبوت رضاع الكبير لإباحة الدخول والخلو بين رجل وإمرأة ليس بينهما صلة قرابة النسب أو صلة الرضاع في حال الصغر قبل الفطام ففي حديث رضاع سالم مولي أبي حذيفة وهو كبير له لحية من زوجة أبي حذيفة وأمر الرسول (ص) بذلك ومن يتحرج مما أباحه الرسول من رضاع الكبير بنفسه يمكنه إرضاع المرأة بدلا من الرجل ويتحقق المقصود بشرط ألا يثور في نفسه أدنى اعتراض على تشريع الرسول (ص) فلا بد من الإرضاع الفعلي والأصل في الرضاع أن يكون مباشرا أما الوسائل الموصلة كالحلب في إناء فهو أمر ثانوي فتأثير الرضاع المباشر متفق عليه وأمر الرسول أن يرضع منها ولكن بعض الناس تتحرج من أمر الرسول فهذه عملية شرعية والشرع ليس بذوق الناس ورغباتهم فيحل الله ما يشاء ويحرم ما يشاء ومن يتحرج من حكم الله لا يفهم الشرع والحديث صحيح ومن يعترض عليه يعترض على الرسول والدين ليس خاضعا لرغبات الناس.

- * ولكن أجاز بعض العلماء الحلب في إناء؟
 - هذا نوع من الترفه أو الإدعاء يرجحه بعض العلماء احتياطا في تفسير الحديث لم يرد في الروايات أما إذا ثبت النقل أن الشرب كان في إناء فجائز أما إذا لم يثبت النقل فتحمله على الرضاع المباشر.
- * كيف يبيح الشرع كشف عورة أمام أجنبي؟
 -

- إذا تحرجت المرأة أن يرضع منها الرجل فيمكن أن ترضع هي من أمه ولكن لا يوجد حرج شرعي فالإرضاع المباشرة وهو للضرورة والضرورات تبيح المحظورات.
- * هل يمكن استخدام جهاز الإرضاع الصناعي وهو جهاز تستخدمه المرأة بوضعه على الثدي ليحفظ الغدد اللبنية على إدرار اللبن فهل يمكن استخدام اللبن في الإرضاع؟
- هذا الأمر يرجع الى الأطباء أو العلماء فهم يحددون ما إذا كان لبنا حقيقيا أي مكوناته هي مكونات اللبن الأصلي أم لا فإذا كان لبنا أصليا يصح الإرضاع أما إذا لم يكن نفس مكونات اللبن الأصلي فلا يصح الإرضاع منه.
- * هل معنى ذلك أنه يصح للبنات التي لم تتزوج أن تستخدم الجهاز وترضع به من تشاء سواء كانت حالة ضرورة أم لا؟
- لا يصح.
- * ولكنك قلت أنه يترك الأمر للأطباء فإذا قالوا أنه لبنا أصليا يصح الإرضاع به؟
- اللبن الذي يتم به الرضاع هو الناتج عن علاقة شرعية نشأت عنها الولادة أما إذا كان اللبن ناتجا بدون علاقة مطلقا مثل البنات التي لم تتزوج باستخدام جهاز الإرضاع الصناعي وتنتج عنه اللبن فإذا أرضعت به لا أثر له شرعا أي لا يصبح من أرضعته ابنها شرعا لأن اللبن ليس نتيجة علاقة شرعية أي زواج وحمل ثم ولادة ثم رضاعة.
- * ما الحكم إذا أرضعت زوجة عقيم صبيا باستخدام جهاز الإرضاع الصناعي ليصبح ابنها من الرضاعة؟
- العقيم ليس لها لبن وإذا استخدمت الجهاز وأرضعت الصبي لا اعتبار له شرعا حتى لو اثبت الأطباء أن اللبن الناتج عن استخدام الجهاز له نفس مكونات اللبن الطبيعي ولكن إذا أرادت أن يكون بينهما صلة رضاع فيمكن لأحد من جهتها أن ترضعه ليصبح أخوها من الرضاعة.
- * قلت أن تصوير الفيديو يدرا شبهة الخلوة فكيف لا يثبت به الزنا؟
- أي وسيلة تستخدم في إثبات البراءة يؤخذ بها في الشرع فمثلا استخدام وسيلة لإثبات جريمة الحد لا تأخذ بها شرعا لتصنيف دائرة اقامة الحد لذلك لا بد من الرؤية المباشرة حتى لو رأى تصوير الفيديو مائة شاهد والحدود تدرا بالشبهات فالإعتبار الرؤية المباشرة لأربعة شهود لإثبات جريمة الزنا فالتصوير يمكن تزييفه واختلاق أحداث ووقائع مخالفة للواقع والحقيقة وفي هذه شبهة والحدود تدرا بالشبهات.
- * حتى لو اثبت المعمل الجنائي صحة المناظر وانها صور ولقطات غير مزورة؟
- نعم حتى لو اثبت المعمل الجنائي ان اللقطات حقيقية فالمعمل الجنائي نلجأ له في الجرائم التي تتعلق بحقوق العباد ويترتب عليها ضرر أما جريمة الزنا فهو حق الله ولم يطالب الإسلام بالتجسس على الناس لإثبات الزنا وإنما تثبت الجريمة بشهادة الشهود الأربعة أو الإعتراف واثبات هذه الجرائم مرتبط بوضع الإنسان العادي بدون استعمال آلات حديثة لإثبات الجرائم ولكن الإسلام يحث على استخدام التكنولوجيا لتبرئة مواطن مظلوم فالإسلام لا يميل لتطبيق الحدود إلا للضرورة القصوى.

من قلم: نهرو طنطاوي

رضاع الكبير وانحطاط العقل العربي

النشاط العقلي نعمة وهبها الله للإنسان ليفكر ويعقل ويتدبر وينظر ويقرأ من حوله وما حوله من أشياء وحوادث، وأولى خطوات النشاط العقلي التجرد تماما كذلك من أي نتائج يكون قد وصل إليها الغير من قبل، إلا من بعد مراجعة وتفكير وإعادة قراءة ونظر، لكن معظم من يسمون بالمفكرين العرب والكتاب العرب والمتقنين العرب في كل مرة يعقلون فيها شيئا من الأشياء أو أمرا من الأمور أو حادثة من الحوادث يؤكدون بالبرهان القاطع على إفلاسهم الفكري والعقلي والنظري، ويؤكدون ببرهان قاطع كذلك على طفولتهم الفكرية والعقلية، ويؤكدون كذلك على تبعيتهم العمياء الصماء لفكر غيرهم وعقل غيرهم، مما يؤكد يوما بعد يوم أن هؤلاء القوم ما هم إلا كائنات طفيلية تعتاش وتقتات على عقل ونظر وفكر غيرها

وفي كثير من المواقف يثبت من يسمون بالمفكرين العرب والكتاب العرب والمتقنين العرب سواء من يكتب منهم في الشأن الديني أو غيره أنهم يعانون من عقم فكري، يجعلهم عاجزون عن إنجاب أي فكر جديد أو رؤي جديدة أو قراءة جديدة لأي شيء يعرض لهم، مما يحملهم ذلك على التسول على أفكار غيرهم، كالأغنام حين تهول خلف كل ناعق. إن هؤلاء القوم ليس لديهم ما يقدموه للناس في عالم الفكر أو النظر أو القراءة، بل إنهم قد أثبتوا في أكثر من موقف أنهم غير جديرين بالتفكير في أي شيء وغير جديرين بقراءة أي شيء. وما أكثر الأمثلة التي يمكن أن نسوقها وندلل بها على أي درك من السفاهة والانحطاط التبعية العمياء الصماء قد انحدر إليها العقل العربي والفكر العربي، فهناك عشرات الأمثلة بل مئات الأمثلة من مئات القضايا الفكرية التي طرحت ونوقشت في الساحة الإعلامية والفكرية العربية، والتي تكفي قضية واحدة منها أن تكون مثالا حيا ودليلا قاطعا على الانحدر الذي هو إلى الفكر العربي والعقل العربي.

وفي هذا المقال لن نستعرض سوى قضية واحدة لنرى أين وصل فيها الفكر العربي وكيف عقلها العقل العربي إن كان للعرب فكر أو عقل، هذه القضية هي بعض الأحاديث التي تنسب إلى النبي (ص) في إفتاءه عليه الصلاة والسلام بارضاع الكبير في قصة سالم مولى أبي حذيفة، ولا يخفى على الجميع أن روايات إرضاع الكبير موجودة في كل كتب الأحاديث منذ قرون طويلة، ولم نسمع أو نلتوا أن قامت ضجة في يوم من الأيام طيلة الأربعة عشر قرنا الماضية حول هذه الروايات، سوى في السنوات القليلة الماضية، فهل سأل أحدكم نفسه لماذا تأخرت هذه الضجة وكل هذا الإعتراض على هذه الروايات ولم تظهر من قبل كل هذه النداءات لمحو هذه الروايات وإنكارها والحكم بزيفها وكذبها ونسبتها إلى النبي (ص)؟؟، لماذا في الآونة الأخيرة فقط تعالت أصوات بعض الكتاب الدينيين العرب، والعلمانيين العرب، واللاشيين العرب، وكثير من سفهاء الفكر والعقل العرب، بتكذيب نسبة هذه الروايات إلى النبي (ص)، والتبرؤ منها والإدعاء بأنها مدسوسة على الرسول الكريم لتشويهه عليه الصلاة والسلام والانتقاص من قدره؟؟ فهل قام من يسمون بالمفكرين العرب على إختلاف توجهاتهم الفكرية والثقافية بقراءة هذه الروايات قراءة علمية جادة ناقدة متعقلة محايدة؟؟، وهل بالفعل حوت هذه الروايات في ظاهرها أو باطنها ما يسيء للنبي محمد(ص) كنبى ورسول،، أو حتى كشخص عادي من البشر؟؟، وهل بالفعل تستحق هذه الحادثة (رضاع الكبير) كل هذا الصراخ وكل هذا الإعتراض والتكذيب والتبرؤ والتنصل والسخرية والإستهزاء والمعايرة التي ملأت صفحات الجرائد والصحف والمجلات ومواقع الإنترنت في كل مكان في العالم العربي؟؟، وهل كل من خط مقالا يستنكر فيه هذه الحادثة ويسخر منها ويكذبها ويبرئ ساحة الرسول منها، هل قرأ كل الروايات، وهل فهم منها شيئا يسيء للنبي (ص)؟؟.

إن الجواب على كل تلك التساؤلات لم يأت به سفهاء العرب وجهلائهم ممن يسمون بالكتاب والمفكرين الذين كتبوا عن هذه الحادثة، لم يأتوا به من قراءتهم الواعية وفهمهم العميق وعلمهم بالحادثة نفسها، كلا، ولا من التحليل العلمي العقلاني الجاد لتلك الروايات التي روت لنا هذه الحادثة، ولا من معرفتهم الفائضة بالرواة الذين نقلوا لنا هذه الحادثة، ولا من التثبت من حقيقة هل أفتى النبي محمد بهذه الفتوى أم لا، إنما الجواب الحقيقي جاءوا به من مخلفات الحرب الدائرة رحاها بين بعض المسيحيين والملحدين من جهة وبين بعض المسلمين من جهة أخرى في الساحات الإعلامية المختلفة، (التلفزيون، الجرائد، المجلات، مواقع الإنترنت). هذه الحرب الشرسة الضروس لا يستخدم فيها المقاتلون أسلحة تقليدية أو تقدمية متطورة، ولا يستخدمون فيها الأسلحة الكيماوية ولا النووية ولا الجرثومية، إنما الأسلحة المستخدمة في هذه الحرب القذرة، هي أسلحة تشويهية، حيث يقوم كل من الخصوم المتحاربين بالبحث الدعوب داخل الكتب الدينية التراثية للعدو، لإلتقاط بعض الحوادث التاريخية أو بعض الروايات الدينية، وقذف العدو الخصم بها وتشويهه والحط من دينه ونبيه وإلهه، فيقوم الخصم إما بالرد بالمثل كأن يأتي ببعض الحوادث التاريخية وبعض الروايات الدينية المماثلة من كتب خصمه، ليقذف بها عدوه الخصم وكأن لسان حال كل منهما يقول لخصمه إن دينك أخط من ديني، وديني أقل شراً من دينك، ونبيي أفضل خلقاً من نبيك، وإلهي أكثر رحمةً وتحضراً من إلهك، هذا ما يفعله بعض المقاتلين في ساحة المعركة، أما بعض الخصوم غير المشاركين في المعركة أو مكسوري الجناح من الذين سلبهم الله العقل والفهم، يقومون بسلوك طريق آخر لصد العدوان، طريق ممهد سهل لين، طريق لا جراح فيه ولا شوك ولا عثرات، هذا الطريق هو إنكار كل تلك الحوادث وتكذيبها ونبذها والتبرؤ منها، وتبرئة ساحة دينهم وإلههم ونبيهم من تلك الحوادث والروايات، بادعائهم الكاذب الباطل أن هذه الروايات مدسوسة مكذوبة دسها أعداء الدين قديماً لتشويه هذا الدين وتشويه إلههم ونبيهم، وهذه هي حجتهم مع خصومهم حين يواجهونهم بمثل تلك الحوادث التي وردت في كتب الأحاديث والتراث، فتراهم يسارعون إلى النفي والتكذيب والتنصل من هذه الحوادث، ومن الروايات التي حملتها، بل ومن الرواة الذين نقلوها، وهم بذلك يظنون واهمون أنهم بهذا النفي والتكذيب والتبرؤ قد طهروا ساحتهم وتخلصوا من عدوهم وخصمهم اللدود وأفحموه وانتصروا عليه وأسكتوه إلى الأبد.

فهل بالفعل حادثة رضاع الكبير كانت بهذه الصورة البشعة وبهذه السوداوية التي رآها عليها من يسمون بالكتاب والمفكرين العرب، الذين كتبوا يهاجمون هذه الحادثة يكذبون الروايات التي وردت فيها والرواة الذين نقلوها في كتبهم؟؟، أم أن هؤلاء القوم يعانون من عقم العقل وشح الفكر وقصر النظر، ويعانون كذلك من عمى البصر والبصيرة كما هي عاداتهم؟؟، وللإجابة على هذه الأسئلة لا بد لنا أن نقوم بقراءة الحادثة قراءة موضوعية مبتعدين عن المثالية المفرطة التي يروج لها بعض النصارى حول شخصية المسيح بن مريم، والتي ليس لها أي أثر في واقع أي بشر على الإطلاق، سوى في أحلام الناس وأوهامهم، هذه المثالية الكاذبة المخادعة التي خدع بها كثير ممن يسمون بالمفكرين والكتاب العرب، فجعلتهم يكذبون وينكرون من دينهم وتاريخهم وتراثهم كل ما لا يتوافق وتلك المثالية الوهمية الكاذبة المخادعة، ومبتعدين كذلك عن الشعور بالدونية والهزيمة الشعورية التي أفلح الخصم أن يوهم بها كثيراً من السفهاء وقصيري النظر ممن يسمون بالكتاب والمفكرين العرب، فهيا نتناول هذه الحادثة من الروايات المختلفة التي وردت فيها ولنرى ما هي الصورة الحقيقية لهذه الحادثة؟؟. لقد وردت حادثة رضاع الكبير في صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن النسائي، وسنن أبي داود، وسنن بن ماجه، ومسند أحمد بن حنبل، وموطأ مالك، وسنن الدارمي. وقد جاءت هذه الحادثة في هذه الكتب الثمانية في نحو من عشرين رواية، وتخفيفاً على القارئ وتسهيلاً له سأقوم بسررد هذه الحادثة بصورة نتناول كل ما ورد في الروايات العشرين بطريقة سهلة وسلسة،

ثم أقوم بمناقشة هذه الحادثة بطريقة موضوعية مع مقارنتها ببعض الحوادث المشابهة من الواقع الذي نعيشه الآن، حتى نرى أين تكمن أسباب هذه الضجة التي أثارها من يسمون بالكتاب والمفكرين العرب الذين لا يفقهون شيئا ولا يهتدون، وبعدها سأذكر الروايات كاملة في نهاية المقال لمن أراد أن يطلع عليها.

قصة رضاع الكبير كما جاءت في كتب الأحاديث:

لقد تبني رجل من صحابة الرسول (ص) يُدعى أبا حذيفة بن عتبة وكان ممن شهد غزوة بدر، تبني غلاما صغيرا يُدعى سالما، وكان ذلك قبل نزول تحريم التبني، وكان الناس قبل الإسلام وفي صدر الإسلام يتبنون الأطفال والشباب والرجال، فيحملون أسماء آبائهم بالتبني، ويرثون من ميراثهم، كما كان زيد بن حارثة حين تبناه النبي محمد (ص) فكان يُدعى زيد بن محمد، كذلك كان سالما الذي تبناه أبو حذيفة، وكان سالم يعيش مع أبي حذيفة وزوجته في بيتهم، ولما شب سالم وصار رجلا زوجه أبو حذيفة من ابنة أخيه هند بنت الوليد بن عتبة، وظل الأمر على هذا حتى أنزل الله تحريم التبني في قوله تعالى: (ادعُوهم لأبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم) (الأحزاب: ٥). ولما نزلت هذه الآية تم رد كل شخص من هؤلاء الى أبيه ومن لم يعلم أباه رُد الى الذين تبنوه ليس كابن، وإنما كأخ في الدين ومولى (صاحب وجار)، فجاءت سهلة بنت سهيل زوج أبا حذيفة النبي محمد (ص) ، فقالت يا رسول الله إنا كنا نرى سالما ولدا لنا، وكان يأوي معي ومع أبي حذيفة في بيت واحد، وفي رواية: وليس لنا إلا بيت واحد، وكان يراني فضلا (شبه عارية)، وقد أنزل الله بما قد علمت (تحريم التبني)، وإني أرى في وجه أبي حذيفة بعض الغضب والكره من دخول سالم عليّ، وفي رواية إن سالم قد بلغ ما يبلغ الرجال وعقل ما يعقل الرجال، وفي رواية علم ما يعلم الرجال، وإنه يدخل علينا وإني أظن أن في نفس أبي حذيفة من ذلك شيئا، وفي رواية إني أرى في وجه أبي سالم الكراهية من دخول سالم عليّ، فقال النبي أرضعيه، قالت كيف أرضعه وهو رجل كبير؟، وفي رواية إنه ذو لحية، فتبسم النبي محمد (ص)، وقال: قد علمت أنه رجل كبير، وفي رواية قال: أرضعيه تحرمي عليه ويذهب الذي في نفس أبي حذيفة، فرجعت فقالت إني قد أرضعته فذهب الذي في نفس أبي حذيفة، وفي رواية والذي بعثك بالحق نبيا ما رأيت في وجه أبي حذيفة بعد شيئا يكرهه، وفي رواية فأرضعته خمس رضعات فكان بمنزلة ولدها من الرضاعة.

هذه هي القصة الكاملة كما وردت في الروايات العشرين، حيث لا زيادة ولا نقصان في كلمة واحدة، ونناقش الآن ما ورد في هذه القصة من أحداث، لنرى ما هو الشيء المستهجن في هذه القصة، وما هو الشيء الذي دعا كثير من الحمقى والسفهاء ممن يسمون بالكتاب والمفكرين العرب لإنكار مثل هذه الحادثة وطالبوا بمحوها من كتب التراث وادعوا أنها كاذبة ومدسوسة على النبي محمد لتشويه صورته والحط من قدره، وهل بالفعل في هذه الحادثة ما يشوه صورة النبي (ص) ويحط من قدره، أم أن القوم قد ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم فهم لا يعقلون؟؟.

مناقشة الحادثة:

أبو حذيفة تبني سالما وهو غلام صغير، كما هي عادت العرب قبل الإسلام وأصبح يُدعى سالم بن أبي حذيفة، وكان سيرت من أبيه ما يرثه الإبن الأصلي، وعاش سالم مع أبوه بالتبني حذيفة وأمه بالتبني سهلة في بيتها الذي لا يملكون غيره، وأصبح سالم ابنا لأبي حذيفة وزوجته، وكان يدخل عليهما ويبيت معهما في نفس البيت الواحد، وكان سالم يرى أمه بالتبني سهلة امرأة أبي حذيفة وهي شبه عارية على اعتبار أنه ابنها وهي أمه، وشب سالم وكبر فزوجه أبوه من بنت أخيه، على اعتبار أنها ابنة عمه، وظل الأمر على هذا حتى أنزل الله تحريم التبني في قوله: (ادعُوهم لأبائهم هو

اقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فأخوانكم في الدين ومواليكم) (الأحزاب: ٥). وامتثالاً لأمر الله قام كل من تبنى شخصاً برده إلى أبيه الأصليين، ومن كان منهم لا يُعلم له أبوان، يظل كما هو مع من تبنوه، ليس كإبن، وإنما كأخ في الدين ومولى (أي صاحب وجار لهم)، وسالم كان من الذين لا يُعلم له أبوان، فماذا يصنع أبا حذيفة وزوجته مع سالم؟؟، هل يطردوه من بيتهما أم يظل معهما؟؟، وكانت هذه هي المشكلة الحقيقية التي واجهت كل من سهلة وزوجها أبا حذيفة، فالوضع قد تغير عن ذي قبل، فسالم في السابق كان ابنهما، وكان يدخل عليهما كما يدخل الإبن على أبيه، دون إذن أو استئذان، كما حال كل بني آدم، لكن حين حرم الله التبني، أصبحت العلاقة بين الإبن والأبوين غير ذي قبل، فأصبح الإبن ليس إبناً، ولا الأب أباً، ولا الأم أما، وعلى إثر هذه العلاقة الجديدة، بدأت هناك بعض المشاعر تتغير وتتبدل، فأبو حذيفة أصبح يرى سالماً رجلاً اجنبياً يقيم معه هو وزوجته في بيت واحد، مما أثار في نفس أبي سالم بعض مشاعر الغيرة على زوجته، وبعض الكره للوضع الجديد، وكان يتغير وجهه امتعاضاً من هذا الوضع الجديد الذي لا يجد مفراً منه ولا حلاً له، فترى ماذا يصنع أبو حذيفة هل يمنع سالماً من دخول بيته؟؟، أم يتركه ويظل يعاني ألم الغيرة والضيق والضجر؟؟. فما كان من زوجة أبي حذيفة إلا أن ذهبت إلى النبي (ص)، تستشيريه وتستفتيه في هذا الأمر الحرج، فقضت عليه ما كان من أمرها هي وزوجها مع سالم، فأشار عليها النبي (ص) بأن ترضعه فتحرم عليه، فإستغربت المرأة من قول النبي، مما جعلها تجيبه قائلة: أرضعه وهو رجل كبير؟؟، فرد عليها النبي قائلاً: قد علمت أنه رجل كبير، فرجعت المرأة ونفذت ما أشار به عليها النبي، وأرضعت سالم خمس رضعات كما ذكرت الروايات، وبهذه الرضاعة أصبح سالم ابناً حقيقياً لهما بالرضاعة، وحرم سالم عليها وحرمت سهلة عليه بهذه الرضاعة، وذهب ما يعاني منه أبو حذيفة من ضيق وغيرة وكراهية كان سببها إقامة سالم معهما في البيت. فإياها الكتاب العرب يا من تدعون العقل والفكر، ما الجرم وما النقيصة وما الشذوذ في هذه القصة؟؟، أليس ما أفتى به النبي محمد (ص) كان عين العقل وعين الفهم وعين الصواب؟؟، أليس ما أفتى به النبي محمد (ص) قد أنقذ إنساناً مسلماً لا أب له ولا أم ولا أسرة من أن يكون مصيره الطرد من بيت أبي حذيفة إلى حيث لا بيت يؤويه، ولا أهل يعينوه؟؟، أليس ما أفتى به النبي محمد (ص) كان دلالة على فطنته وقوة إدراكه وسعة رحمته بالناس ورغبته في التيسير عليهم في حياتهم ومعاشهم وشؤونهم؟؟، أليس ما أفتى به النبي (ص) هو امتثالاً للقاعدة القرآنية الضرورات تبيح المحظورات؟؟، ألا تعدل رضاعة سهلة لسالم الذي كان في يوم من الأيام ابناً لها، وربته وهو غلام صغير حتى كبر وصار رجلاً، ألا تعدل تلك الرضاعة أكل الميتة والدم ولحم الخنزير في حال المخمصة (شدة الجوع)؟؟، ألا تعدل رضاعة سالم من أمه سهلة وهو رجل كبير الكفر بالله في حال الإكراه؟؟، أليس أكل الميتة شيء محرّم وشاذ، ولكنه مباح عند الضرورة؟؟، أليس ادعاء الكفر بالله حرام ومنكر وشاذ ولكنه مباح عند الإكراه؟؟، فلماذا كل هذه الضجة والصياح والسخرية والإستهزاء والشجب والإستنكار والتسفيه والتكذيب لهذه الحادثة؟؟ هل لأجل أن سالماً الشاب الكبير سيضع فمه في ثدي المرأة التي كانت في يوم من الأيام تعامله على أنه ابن لها، وكان يعاملها على أنها أم له؟؟.

ألستم أنتم أيها المفكرون والكتاب العرب الذين تدعون كذباً ونفاقاً ودجلاً أنكم تنادون بالإصلاح الديني والتيسير على الناس، وتطالبون ليل نهار بتطبيق قاعدة الضرورات تبيح المحظورات، وأن الواقع هو من يفرض نفسه على أحقية تطبيق النص من عدم تطبيقه، وفق ما تقتضيه مصالح الناس وظروفهم في حياتهم ومعاشهم؟؟، ألستم أنتم من تنكرون على السلفيين والمنتشدين والمتعصبين دينياً عدم تساهلهم في فتواهم وعدم تيسيرهم على الناس في أوقات الضرورة؟؟، ألستم أنتم من أنكروا على السلفيين والمنتشدين والمتعصبين دينياً تحريمهم على النساء الذهاب إلى طبيب رجل للعلاج؟؟، ألا يعد ذهاب المرأة لطبيب رجل كي يعالجها أو يقوم بإجراء عملية جراحية لها، أو

إجراء عملة ولادة، أو تشخيص مرض من أمراض النساء التي تصيب عنق الرحم وفرج المرأة، وغيرها من الإجراءات الطبية التي لأجل إجرائها يقوم الطبيب بكشف جسد المرأة المريضة بالكامل وكشف عورتها كذلك، ألا يعد كل هذا من باب الضرورات التي تبيح المحظورات؟؟، وألا يعدل كل هذا وضع سالم فمه في ثدي سهلة كي يرضع منها لتحرم عليه ويتمكن من القيام معهم في بيتهم دون التسبب في أي حرج بينه وبين سهلة وأبي حذيفة؟؟، أليس منكم من سيصطحب زوجته أو أمه أو أخته أو ابنته إلى طبيب رجل ليعالجها عند الضرورة، ليجري لها بعض الفحوصات والعمليات التي قد يكشف فيها الطبيب جسد وعورة أي منهن بالكامل إذا استدعى الأمر ذلك؟؟، فما لكم تصرخون ولا تعوون ولا تستنكرون أن يقوم الطبيب بإجراء الفحوصات الطبية على النساء؟؟، ولماذا لا تطالبون بمنع هذه الجريمة وازدراؤها، كما عويتم وصرختم واستنكرتم ونددتم بروايات رضاع الكبير وكذبتموها وأنكرتموها وشنعتم عليها واعتبرتموها مسبة في شخص الرسول ومنقصة لقدره؟؟.

إن هؤلاء القوم في تناولهم الفكري والعقلي للأشياء والمواقف والأحداث، لا ينطلقون من قلوب سليمة نقية نظيفة، وإنما يتناولون كل الأشياء والمواقف والأحداث، انطلاقاً من أفكارهم الشاذة، وقلوبهم المريضة التي طبع الله عليها بجهلهم وغيهم. وإنهم في كل مرة يثبتون ويؤكدون للناس أنهم ليسوا أهلاً للعلم ولا للعقل ولا للفكر.

أم المؤمنين عائشة وروايات رضاع الكبير:

لقد وردت بعض الروايات التي تقول أن عائشة أم المؤمنين وزوج النبي محمد (ص)، كانت ترى في فتوى النبي لسهلة امرأة أبي حذيفة، أنها فتوى عامة لكل من يقع له أمر مماثلاً للذي وقع لأبي حذيفة وزوجه سهلة وابنتها بالتبني سالما، وذلك أن الله قد فرض على نساء النبي محمد (ص) من دون نساء المسلمين، ألا يخاطبهم أحد من المسلمين الرجال إلا من وراء حجاب وذلك في قوله تعالى: (وإذا سألتهم عن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما) (الأحزاب: ٥٣). ولهذا الأمر الإلهي الخاص بزوجات النبي رأت السيدة عائشة أنه لو أرادت أن يدخل عليها أحد من الرجال لأمر ما أن تأمر بنات أخواتها وبنات إختها أن يرضعن من أحببت عائشة أن يراها ويدخل عليها من كان كبيرا من الرجال، ثم يدخل عليها، إلا أن أم سلمة أم المؤمنين وزوج النبي (ص) أبت هي وسائر أزواج النبي أن يدخل عليهن أحدا من الناس بتلك الرضاعة، وقلن لعائشة لعلها كانت رخصة من النبي لسالم دون الناس. إذا فعائشة كان ظرفها الخاص وهو الأمر الإلهي للمسلمين بمنع سؤال نساء النبي متاعا إلا من وراء حجاب، هو من دعاها للإجتهد والقياس على ما أمر به الرسول (ص) امرأة أبي حذيفة، وكان هذا اجتهدا شخصيا من عائشة غير ملزم لأحد سواها، اعترضت عليه أم سلمة وسائر زوجات النبي الأخريات، وسواء فعلت السيدة عائشة هذا أم لا، فهو محض اجتهد شخصي منها وهي لم تخطئ فيه سواء أصابت في اجتهداها أم لا، وسواء استدعى الأمر فعل ذلك أم لا، فهي لم تخطئ إنما هو اجتهد شخصي منها حرصت فيه بفهمها وإدراكها على الإلتزام بأمر الله.

فتوى الدكتور عزت عطية رئيس قسم الحديث بجامعة الأزهر:

نقل جانبا من فتوى رضاع الكبير كما نشرتها العربية نت في لقاء مع الدكتور عزت عطية، لنرى على أي أساس بنى الدكتور عزت عطية فتواه حول إرضاع الكبير، وهذا ما جاء في الفتوى: (د. عزت عطية رد بأن إرضاع الكبير يكون لإباحة الدخول والخلوة بين رجل وإمرأة ليس بينهما صلة قرابة النسب ولا صلة الرضاع في حال الصغر، ويكون الإرضاع للضرورة فقط) وحذر من "

التوسع في استخدام الضرورة فيتصور الناس أن جميع الموظفين والموظفات في العمل يجب عليهم إرضاع الكبير، لأن هذا تصور خاطئ، ولكنني أقصد أن الإرضاع يباح لمن ينفرد بزميلة في العمل داخل الغرفة المغلقة ولا يدخلها أحد إلا بإذن من أحدهما".

سألته عن يطيل اليوم مع زميلة داخل غرفة واحدة ولا يدخل عليهما أحد إلا بإذن منهما، فقال إن هذه خلوة محرمة شرعا، وعليك أن ترضع منها حتى تختلي بها بهذا الشكل المحرم، موضحا أن الخلوة تتحقق بإغلاق باب الحجرة على رجل وامرأة، وعدم إمكانية رؤية من بداخل المكان. وأكد أن الإرضاع يكون بالتقام الثدي مباشرة وذلك لأن سالم الذي رضع كان كبيرا وله لحية، والحديث صحيح ومن يعترض عليه فيكون اعتراضه على رسول الله. وحول القول بأن الواقعة التي تحدث عنها مرتبطة بزمان ومكان وعصر غير الذي نعيش فيه والفتوى تتغير بتغير العصور والأزمنة، قال إن أحكام الإسلام ترتبط بذات الإنسان عبر الأزمان والأماكن، وذات الإنسان لم تتغير منذ وجد على ظهر الأرض الى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

تعليقا هو أن سالم كان رجلا بالغا متزوجا وبالتالي كان يمكن له أن يستقل بأسرته في مكان يؤويه وبهذا تنتهي مشكلة أبي حذيفة ولكن إباحة رضاع الكبير أمر مستهجن وهذا واضح من رد سهلة على رسول الإسلام. هل يرضى الأستاذ نهرو أن يرى أمه عارية أو يلتقم ثديها. إذا كان يقف هذا - كما هو طبيعي من كل عاقل - فلماذا يلوي عنق العقل والمنطق دفاعا عن رسوله؟! هذه هي الطامة الكبرى.

إنك لعلی خلق عظیم

هذا هو قول إله القرآن لمحمد. أما هو فقال عن نفسه " جئت لأتمم مكارم الأخلاق".

في الصفحات التالية سوف ننقل أحاديث ومواقف لنبي الإسلام تنسف هذه الوهمية من أساسها.

١ - عض أير أبيك: حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا محمد بن جعفر حدثنا عوف عن الحسن عن عتي بن صمرة عن أبي بن كعب أن رجلا اعتدى بعراء الجاهلية فأعضه ولم يكنه فنظر القوم إليه فقال للقوم إنني قد أرى الذي في أنفسكم إنني لم أستطع إلا أن أقول هذا إن رسول الله أمرنا إذا سمعتم من يعتري بعراء الجاهلية فأعضوه ولا تكنوا.

رواه أحمد في مسنده والترمذي في جامعه وصححه الألباني في (صحيح الجامع) رقم ٥٦٧. قال في ((النهاية)) " التعزي الإنتماء والانتساب إلى القوم. والعزوة اسم لدعوى المستغيث، وهو أن يقول: يا فلان، أو يا للأنصار، ويا للمهاجرين ... فأعضوه بهن أبيه: أي قولوا: عض أير أبيك (أير: العضو الجنسي للرجل ...).

٢ - النبي يقول الفحش:

وقال البخاري وأبو داود وغيرهما: إن النبي قال لَمَاعَزَ (ص) قال لَمَاعَزَ بن مالك الأسلمي وهو يستجوبه في حادثة الزنا: " أنكتها؟". وفي رواية أخرى: " حتى غاب ذلك منك في ذلك منها؟". ومعلوم أن " ذلك" اسم إشارة!!!.

(صححه الألباني)

(٤٧٧/١ - ح ٢٦٩)

٣ - النبي يسب أصحابه:

وقال البخاري ومسلم وغيرهما أن النبي قال: " أيما رجل من أمتي سبته سبة أو لعنته لعنة في غضبي فإنما أنا من ولد آدم أغضب كما يغضبون" فلان.

(البخاري ح ٦٨٢٤ - سنن أبي داود ح ٤٤٢٨ - مسند

أحمد ح ٢٤٢٩)

٤ - يفتن رجلا بالنساء:

قال محمد للجد بني قيس: "يا أبا قيس هل لك أن تخرج معنا لعلك تردف خلفك بنات بني الأصفر". فقال له الجد بن قيس: "يا محمد لماذا تفتني بالنساء". (السيرة الحلبية ج ٣/١٠٣)

٥ - محمد يأذن بالدعارة:

عن جابر بن عبد الله وسلمة بن الأكوع رضي الله عنهما قالوا: كنا في جيش، فأتانا رسول الله (ص) فقال: إنه قد أذن لكم أن تستمتعوا فاستمتعوا. (صحيح البخاري ١٨٤٤)

٦ - زواج ثلاث ليال:

عن سلمة بن الأكوع عن أبيه عن رسول الله (ص) قال: إيمان رجل وامرأة توافقا فعشرة ما بينهما ثلاث ليال فإن أحبا أن يتزايدا أو يتتاركا تتاركا. (صحيح البخاري ٥١١٩)

٧ - رضاعة الكبير:

عن عائشة رضي الله عنها: أن سالما مولى أبي حذيفة كان مع أبي حذيفة وأهله في بيتهم، فأنتت (تعني: سهلة بنت سهيل) النبي فقالت: إن سالما قد بلغ ما يبلغ لرجال وعقل ما عقلوا، وإنه يدخل علينا، وإني أظن أن في نفس أبي حذيفة من ذلك شيئا، فقال لها النبي (ص): "أرضعبه، تحرمي عليه، ويذهب الذي في نفس أبي حذيفة" فرجعت إليه فقالت: إنني قد أرضعته فذهب الذي في نفس أبي حذيفة. (صحيح مسلم ٨٨٠)

٨ - وطء المشركات المتزوجات حلال:

باب: وطء الحبالى من السبي:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله (ص) يوم حنين بعث جيشا الى أوطاس فلقوا عدوا فقاتلوهم. فظهروا عليهم، فأصابوا لهم سبايا، فكان ناسا من أصحاب رسول الله (ص) تخرجوا عن غشيانهم من أجل أزواجهم من المشركين فأنزل الله عز وجل في ذلك: "والمحصنات (٣) من النساء إلا ما ملكت أيما نكم، أي فهن لكم حلال إذا انقضت عدتهن. (صحيح مسلم ٨٣٧)

(٢) المراد بالمحصنات هنا المزوجات، أي أنهن حرام على غير أزواجهن إلا ما ملكتم بالسبي فإنه ينفسخ نكاح زوجها لكافر.

٩ - أهكذا يا رسول الله:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: كان النبي (ص) قد زوج زيد بن حارثة زينب بنت جحش، ابنة عمته، فخرج رسول الله يوما يريد على الباب ستر من شعر، فرفعت الريح الستر

فإنكشف، وهي في حجرتها حاسرة، فوقع إعجابها في قلب النبي، فلما وقع ذلك كرهت الى الآخر، فجاء فقال: يا رسول الله، إني أريد أن أفارق صاحبتني، قال: مالك، أراك منها شيء؟ قال: لا، والله ما رأيت منها شيء يا رسول الله، ولا رأيت إلا خيرا، فقال له رسول الله: إمسك عليك زوجك واتق الله، فذلك قول الله تعالى (إذ نقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه) تخفي في نفسك إن فارقها تزوجتها.

جامع البيان في تفسير القرآن جاء في كتاب (فقه السيرة) للأستاذ سعيد عاشمور ص ١٢٦.

تقول زينب: بعد طلاقني من زيد لم أعلم إلا ورسول الله قد دخل على بيتي وأنا مكشوفة الرأس فعلمت إنه أمر السماء وقلت له: يا رسول الله أهكذا بدون ولي ولا شاهد؟ فقال لي: الله زوجك (أي هو الولي) وجبريل شاهد.

(حلية)

(الأولياء ٥٢/٢)

النبي ينظر للنساء الأجنيات فيثرن شهوته:

روى مسلم وأحمد بن حنبل وغيرهما أن النبي (ص) كان ينظر للنساء الأجنيات فتعجبتهن، فيأتي أي واحدة من نسائه ليقضي حاجته من النساء؛ فمرة أتى أهله سودة، ومرة أتى زينب، ومرة أتى أم سلمة، ومرة قال (ص): "إن فلانة مرت بي فوقع في قلبي شهوة النساء فأتيت بعض أزواجي؟. صححه حشوى العصر الألباني.

البخاري: (ح ٣٨٩٤ - ٦١٣٠). ومسلم (ح ١٤٢٢)، وسنن النسائي (ح ٣٢٥٦)، والمعجم الكبير للطبراني:

(١٧٨/٢٣ - ح ٢٨١). وسنن أبي داود (٤٩٣٢). منار السبيل (١٩٤/٢ - ١٣٨). والإنصاف للمرداوي (٣٤٤/٨، ٥٤) وكشاف القناع (١٨٦/٥). والمبسوط في الفقه الحنبلي للسرخسي (٢١٢/٤)، وشرح فتح القدير (٢٢١/٣)، والتمهيد لإبن عبد البر (١٠٧/١٩)، والأم للشافعي (١٦٧/٥)، وأحكام القرآن للجصاص (٣٤٦/٢)، وبداية المجتهد لإبن رشد (٥/٢)، ونيل الأوطار للشوكاني (٢٥١/٦).

عزم محمد على تطليق سودة بنت زمعة بعد أن شاخت:

أراد محمد أن يطلقها بعد أن شاخت فتنازلت عن ليلتها لعائشة حتى يبقى على زواجه منها.

محمد يطلب من امرأة أن تهبه نفسها:

الحديث من صحيح البخاري: عن أبي أسيد قال: "خرجنا مع النبي (ص) حتى انطلقنا الى حائط يقال له الشوط. حتى انتهينا الى حائطين فجلسنا بينهما فقال النبي (ص): "إجلسوا ها هنا" ودخل وقد أتى بالجونية (أحد سبايا الحرب اسمها أميمة) فأنزلت في بيت في نخل في بيت أميمة النعماني بن شراحبيل، ومعها دايتها حاضنة لها، فلما دخل النبي (ص) قال: هبي نفسك لي. قالت: وهل تهب الملكة نفسها للسوقة؟ قال: فأهوى بيده يضع يده عليها (كناية عن أنه ضربها) لتسكن، فقال: أعود بالله منك. فقال: عدت بمعاذ، ثم خرج عليها فقال: يا أبا أسيد إكسها، إلحقها بأهلها".

أم حرام تفلئ رأس الرسول:

عن أنس من مالك قال: كان رسول (ص) الله يدخل على أم حرام بنت ملحان وكانت تحت عبادة بن الصامت فدخل يوما فأطعمته وجعلت تفلئ رأسه فنام رسول الله ثم استيقظ وهو يضحك.

(صحيح البخاري ٧٠٠١)

استمتع بها:

عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن ابن عباس أن رجلا قال: يا رسول الله إن تحتي امرأة لا تمنع يد لامس فقال: غربها (يعني طلقها) قال: إني لا أصبر عنها. قال: استمتع بها.

هذا الحديث صححه:

- ١ - ابن حزم في المحلى (١١) قال: هذا حديث في غاية الصحة.
 - ٢ - النووي كما في التلخيص (٢٢٥/٣).
 - ٣ - قال المنذري في مختصر السنن: رجال إسناده محتج بهم في الصحيحين على الإتفاق والإنفراد.
 - ٤ - الهيثمي في مجمع الزوائد (٦١٧/٤): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.
 - ٥ - الحافظ ابن كثير صحح أحد أسانيده وقال: إسناده جيد (١٦٩/١٠).
 - ٦ - الحافظ ابن حجر في التلخيص (٢٢٥/٣): قال: سنده صحيح، وقال كما في الفوائد المجموعة (١٢٩): حسن صحيح ولم يصب من قال: إنه موضوع أ.هـ.
 - ٧ - الفتني في تذكرة الموضوعات (ص ٩٢٧): الحديث جيد الإسناد.
 - ٨ - الشيخ الألباني في صحيح أبي داود وصحيح النسائي.
- هذا مجرد غيض من فيض لأحاديث نبي الإسلام تفضح بما لا يدع مجالا لأي شك وهمية أنه جاء ليتمم مكارم الأخلاق.

الحرب خدعة

زواج النبي من صفية بنت حيي قبل أن تعتد